طبعة ثانية
مزيدة ومنقحة

تربية الأبناء ... استثمار أفضل

حسن بن موسى الصفار

تربية الأبناء ... استثمار أفضل

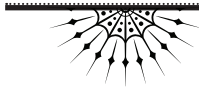

ح حسن موسى الصفار، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الصفار، حسن بن موسى
تربية الأبناء استثمار أفضل / حسن بن موسى الصفار ـ ط٢
القطيف، ١٤٤٢هـ
١٣٠ ص؛ ٢١,٥ × ١٤,٥سم
ردمك: ١-٧٤١٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١ـ التربية الإسلامية ٢ـ تربية الأطفال . أ.العنوان
ديوي ٣٧٧,٢ ١٤٤٢/٨٢٨٥
رقم الإيداع: ١٤٤٢/٨٢٨٥
ردمك: ١-٧٤١٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الثانية (مزيدة ومنقحة)
١٤٤٣هـ-٢٠٢١ م

أطياف للنشر والتوزيع
هاتف / فاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (١٣) ٩٦٦ +
القطيف - شارع القدس
ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E-mail: Atyaf.qatif@gmail.com

حسن موسى الصفار

تربية الأبناء ... استثمار أفضل

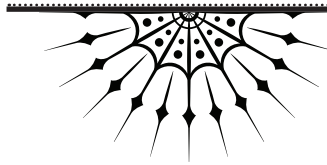

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين. اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

المحتويات

المحتويات ٥

مدخل ٧

الفصل الأول: التربية: الوعي والمسؤولية ١٣

نحو وعي تربوي ١٥

رعاية الطفل ٢٧

التربية وصناعة الإنسان ٤١

تنشئة الأبناء قيميًّا وأخلاقيًّا ٤٧

وقاية الأبناء من الشقاء ٥١

إشراك الأطفال في عالم الكبار ٥٧

الفصل الثاني: مشكلات وتحديات ٦٣

التربية الصالحة واحتمالات التمرّد ٦٥

خطر الغفلة عن رعاية الأبناء ٦٩

الأم وإنجاح دورها في التربية ٧٥

الأولاد ضحايا خلافات الوالدين ٨١

التحرش الجنسي ووسائل العلاج ٨٧

الفصل الثالث: التعليم: مستقبل الأبناء. ٩٥
التعليم ومسؤولية العائلة. ٩٧
كيف نُشوّق أبناءنا للدراسة والتعليم. ١٠٩
مناهج التعليم والتربية على احترام الآخر ١١٩
العطلة الصيفية وفرص التطوير. ١٢٥

مدخل

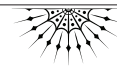

ما أعظم سعادة الوالدين حين يكون الولد بارًّا بهما، مجتهدًا في أداء حقهما من الخدمة والإجلال، وخاصة في مرحلة الضعف والعجز، حيث يجدان فيه سندًا وذخرًا تتحقق به الآمال المعقودة عليه.

وما أشد فرح الوالدين بالولد الناجح في حياته، الصالح في سيرته وسلوكه، حيث يكون مصدر فخر لهما بين الناس، وذكر خير فيما بعد الحياة.

وما أعلى درجة الوالدين عند اللّه حين يكون الولد مطيعًا للّه تعالى موفقًا لأعمال الخير والصلاح، فينالهما الأجر والثواب، وتنهمر عليهما الرحمة والرضوان.

حقًّا إن الولد الصالح قرة عين لوالديه في الدنيا والآخرة، وقد ورد عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «من سعادة الرجل الولد الصالح»[1].

(١) محمد بن يعقوب الكليني. الكافي، ج٦، طبعة ١٤٠٥هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص٣، حديث٦.

وعنه ﷺ: «إن الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة»[1].

وجاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: ما سألت ربي أولادًا نضر الوجه، ولا سألته ولدًا حسن القامة، ولكن سألت ربي أولادًا مطيعين للّه، وجلين منه، حتى إذا نظرت إليه وهو مطيع قرّت عيني[2].

وروي أنه مرَّ نبي اللّه عيسى بن مريم ﷺ بقبر يعذب صاحبه، ثم مرّ به من قابل فإذا هو لا يعذّب، فقال: «يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان يعذب، ومررت به العام وهو ليس يعذّب؟».

فأوحى اللّه إليه: «أنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقًا وآوى يتيمًا فلهذا غفرت له بما فعل ابنه»[3].

وإذا كان الولد الصالح أمنية كل أب وأم، فإن السؤال الملحّ هو الطريق إلى تحقيق تلك الأمنية والتطلّع.

هل صلاح الأبناء مرتبط بعوامل غيبية لا دخل ولا تأثير للوالدين فيها، وغاية ما يمكنهما فعله هو الدعاء والطلب من اللّه سبحانه ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾؟

أم أنه أمر عفوي اتفاقي، وضربة حظ، وليس على الوالدين إلا الانتظار لاستكشاف حظهما ونصيبهما من مستقبل الأبناء؟

لا يشك ذو عقل أن لمستوى التربية والرعاية دورًا أساسًا في صنع

---

(١) الكافي. ج٦، ص٣، حديث١٠.

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠١، الطبعة الثالثة١٤٠٣هـ، (بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي)، ص٩٨، حديث٦٦.

(٣) الكافي. ج٦، ص٣، حديث١٢.

مستقبل الأبناء، وبناء شخصياتهم، وتوجيه سلوكهم، فنفوس الأبناء حين يأتون إلى الحياة أشبه بالمادة الأولية القابلة للتشكيل والتصنيع، وقلوبهم كالأرض الخالية الخصبة التي تنمو فيها أي بذرة تغرس في ترابها.

وصدق اللّه العظيم إذ يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل، الآية:٧٨]. فالطفل موجود مهيأ للتلقي، مزود بقدرات الاستقبال، يتكيّف وفق البيئة التي تحتضنه، والتنشئة التي يمر بها.

هنا يأتي دور الوالدين في تشكيل شخصية الأبناء، وصنع ملامح مستقبلهم، فإذا وعى الوالدان هذه المسؤولية، واستعدا للقيام بمتطلباتها، وبذلا الجهد الكافي في إنجازها، كان الأبناء أقرب إلى خط الاستقامة والصلاح، وأوفر حظًا في تحقيق الرقي والنجاح.

أما الدعاء والطلب من اللّه تعالى لصلاح الأبناء وأن يكونوا قرة عين للوالدين، فهو حافز نفسي للمزيد من الجديّة والإخلاص في العملية التربوية، وفي توجيه مساراتها نحو الخير والصلاح، حتى يشملها التوفيق والتأييد من قبل اللّه سبحانه وتعالى.

فالدعاء ليس بديلًا عن العمل وبذل الجهد في أي مجال من المجالات، حسب توجيهات الإسلام، بل دافع للاجتهاد في العمل، وحافز لإكماله وإتقانه، بتوفيق الله وعونه.

أما التعويل على حسن الصدف، وضربات الحظ، فهذا ما لا موقع له في تفكير العقلاء، ولا في ثقافة الدين.

لكن ما ينبغي الاعتراف به هو دخول عوامل خارجية على خط التربية العائلية، حيث لا تكون العائلة مستقلة في التأثير على أبنائها، بل تشاركها البيئة الاجتماعية بمؤثراتها المختلفة، التي قد تكون عونًا ودعمًا للتربية الصالحة، أو معرقلة ومربكة لها في كثير من الأحيان.

وفي هذا العصر بالذات تضاعف تأثير البيئة الاجتماعية على العملية التربوية، من حيث دور التعليم، ووسائل الإعلام، وتطور وسائل الاتصال الاجتماعي والمعلوماتي، مما زاد في تعقيد وصعوبة مهمة التربية داخل العائلة.

ولا تستطيع العائلة أن تفصل أبناءها أو تعزلهم عن هذا المحيط الخارجي، وهو لم يعد خارجيًا، بل أصبح جزءًا من عالم غرفة الطفل، وساحة للهوه ولعبه، وعنصرًا دائم الحضور والتفاعل معه في مختلف أرجاء البيت، عبر التلفاز والكمبيوتر وأجهزة الاتصال الهاتفية المتطورة، و(الآي باد) وأمثالها.

إن هذا التطور الهائل في الحياة الاجتماعية يجعل العملية التربوية من قبل العائلة أمام تحدٍّ كبير، لا بد من الاستجابة له بمضاعفة الجهد والاهتمام، ومزيد من الإعداد والتخطيط لإنجاز المهمة التربوية.

وأهم ما يجب التأكيد عليه في هذا السياق أن تبذل العائلة أكبر قدر من الوقت للاهتمام بالأبناء؛ لأن انشغال الوالدين وعدم منحهما الوقت الكافي لرعاية الأبناء، يضعف من دورهما التربوي، ويعطي الفرصة لمزيد من تأثيرات العوامل الأخرى.

وكمثال على ذلك: فإن انشغال الأم عن أطفالها بسبب العمل الوظيفي، أو الاهتمامات المختلفة، وإيكال العناية بهم إلى دار الحضانة أو للشغّالة، قد ينتج ثغرات خطيرة في مسار تنشئتهم ورعايتهم التربوية، وما تنشره بعض التقارير أحيانًا من حصول اعتداءات على صحة الأطفال من قبل بعض الخادمات، أو تعرضهم لتحرشات جنسية، أو انجذابهم نحو الخادمة أكثر من الأم، وأمثال ذلك، كلها مؤشرات للتحذير من خطورة نقص الاهتمام المباشر من قبل العائلة بالأبناء.

كما أن انشغال الأب بمتابعة أعماله، وبالعلاقة مع أصدقائه، وبالتواصل الالكتروني، إذا كان على حساب انفتاحه على أبنائه، واهتمامه المباشر برعاية شؤونهم، والاطّلاع على سير برامجهم اليومية، فإن ذلك سيضعف من تأثيره عليهم، ويتركهم فريسة للتأثيرات الأخرى المختلفة.

إن الأبناء في مرحلة الطفولة والمراهقة بحاجة ماسّة إلى الكثير من رعاية الوالدين واهتمامهما. وعليهما إعطاء الأولوية لتربية الأبناء؛ لأن نجاح الوالدين في أي مجال آخر لا يمكن أن يعوّض عن خسارتهما بضياع مستقبل الأبناء، وانحرافهم عن جادة الخير والصلاح.

ولن يشعر أب بالسعادة مهما امتلك من ثروة أو منصب إذا ارتمى ولده في أحضان الجريمة والفساد، كما لن يرتاح قلب أم ترى ابنها أو ابنتها في مهاوي الفشل والضياع.

إن النجاح الأكبر والاستثمار الأفضل هو في التربية الصالحة للأبناء.

وهذا الكتاب الماثل بين أيدي القراء الكرام يضم موضوعات

تهدف إلى إثارة الاهتمام الجادّ بتربية الأبناء، والتأكيد على أولويتها، كما يتضمن بعض الأفكار والمقترحات التربوية المنبثقة من التأمل في الواقع الاجتماعي.

وهذه هي الطبعة الثانية من الكتاب بعد أن نفذت نسخ طبعته الأولى، فقمت بمراجعته وتنقيحه، وأضفت إليه مواضيع جديدة ضاعفت حجمه.

أرجو أن يكون فيه ما يخدم هذا الهدف النبيل، وأن يتقبله الله بأحسن القبول إنه جواد كريم.

حسن بن موسى الصفار

القطيف

٤ رجب ١٤٤٢هـ

١٦ فبراير ٢٠٢١م

الفصل الأول

التربية: الوعي والمسؤولية

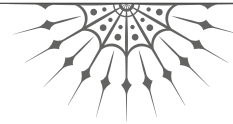

نحو وعي تربوي

يشغل الأولاد أكبر حيّز من الاهتمام في حياة الوالدين، بل يصبحون هم الشغل الشاغل والمحور الأساس في حياتهما، فعلى المستوى الذهني ينشغل الإنسان بالتفكير في متطلبات حياة الأولاد، وتوفير أسباب الراحة لهم، وعلى الصعيد النفسي يصبحون هم مركز الانشداد والتفاعل العاطفي، ومن الناحية العملية يأخذون القسط الأكبر من جهد الإنسان ونشاطه، بل قد يشكلون أقوى دافع له للعمل والحركة من أجل الوفاء بمستلزمات حياتهم وتسيير شؤونها.

ولكن لماذا يصرف الإنسان كل هذا الجهد والاهتمام من أجل أولاده؟

ولماذا تتلخص حياة الإنسان وتتمحور في دائرتهم؟

هناك سرٌّ إلهي حيث أودع اللّه تعالى في قلب الوالدين ينبوعًا من الحب والعطف يتدفق على الأولاد بشكل غريزي.

ويشير الإمام الحسين بن علي عليه السلام في دعاء عرفة لهذا السر الإلهي قائلًا: «وعطّفت عليَّ قلوب الحواضن وكفَّلْتَنِي الأمهات الرواحم».

ومن دون هذا النبع العاطفي الفيّاض ما كان يمكن تحمّل عناء الحمل، ومخاطر الولادة، وصعوبات التنشئة والتربية.

ينقل أن نبي اللّه موسى عليه السلام رأى أُمًّا تحتضن طفلها الرضيع بكل لهفة وشوق، فلفت نظره هذا المشهد الإنساني البليغ، فأوحى اللّه تعالى إليه: يا نبيي، أنا أودعت هذا الحنان والمحبة في قلب الأم على طفلها، أوتريد أن ترى خلاف ذلك؟ وخلال لحظة واحدة أبدت الأم انزعاجها من صراخ طفلها، وتركته على الأرض، وولت عنه غاضبة، ومع تصاعد بكائه وصراخه، واستمرار استغاثته بها، إلا أنها معرضة عنه غير مبالية به، فرقّ قلب نبي اللّه موسى عليه السلام لهذا الطفل، ودعا اللّه أن يعيد العطف والحنان إلى قلب أمه عليه، وفي أقل من لحظة هرعت الأم نحو طفلها وضمته إلى صدرها وغمرته بقبلاتها وحنانها، وصارت تفدّيه بنفسها وحياتها..

الأولاد امتداد للذات

وثمة عامل آخر وراء هذا الارتباط العميق بالأولاد والاهتمام بهم، هو كونهم يمثلون الامتداد والاستمرار لذات الإنسان، فهم جزء حقيقي من الوالدين، يحملون الكثير من صفاتهما وملامحهما، وينسبون إليهما، لذلك يرى الوالدان فيهم ذاتيهما، وبقاء ذكرهما.

يقول الإمام علي عليه السلام مخاطبًا ولده الحسن: «وجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كأن شيئًا لو أصابك أصابني وكأن الموت لو أتاك أتاني فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي»[1].

(١) الشريف الرضي الموسوي. نهج البلاغة، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، (بيروت: دار الكتاب اللبناني)، كتاب ٣١.

إن رغبة البقاء والاستمرار في هذه الحياة متجذرة في أعماق الإنسان، وإذا كانت فرصته فيها محدودة على المستوى الذاتي، فإنه يسعى لتمديد وإطالة فرصة بقائه واستمراره عبر أولاده المتفرعين منه، وإذا لم يكن له ولد فكأن حياته تبتر وتقتطع، وبتعبير القرآن يكون أبتر ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[سورة الكوثر، الآية:٣].

وروي أنه «من مات بلا خلف فكأنما لم يكن في الناس، ومن مات وله خلف فكأنه لم يمت»[١].

إن القرآن الكريم يحدثنا عن حرص ورغبة أنبياء اللّه العظام في أن يكون لهم أولاد وذرية، مع ما لهم عند اللّه تعالى من الشأن الرفيع، فنبي اللّه إبراهيم عليه السلام وهو خليل اللّه، كان يدعو ربه في طلب الولد، حتى استجاب اللّه دعاءه في سنّ متقدم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[سورة إبراهيم، الآية:٣٩].

ونبي اللّه زكريا عليه السلام كان يسأل اللّه بإلحاح أن يرزقه الولد ﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[سورة مريم، الآيات:١-٦].

ونبينا الأعظم محمد صلى الله عليه وآله حينما كان الكفار يشمتون به ويعيرونه أنه لا عقب له، فإن اللّه تعالى طمنّه وبشره بكثرة الذرية والنسل، كما ورد حول

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي. وسائل الشيعة، ج٢١، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (بيروت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث)، ص٣٥٧ حديث ٢٧٢٩٠.

تفسير سورة الكوثر، وأن اللّه أعطى نبيه كثرة الذرية، بينما أعداؤه الذين عابوه بأنه أبتر لا نسل له قد انقطع نسلهم.

وإذا كان عدد من الناس يعانون في الماضي من الحرمان من الذرية والنسل، فإن تقدم علوم الطب في هذا العصر، قلّص من رقعة ذلك الحرمان، وأتاح فرصة التمتع بالإنجاب للكثيرين ممن كانوا يعانون من بعض العوائق، وذلك عبر التلقيح الصناعي الذي لا ترى الشريعة فيه بأسًا، بل هو مستحب ومرغوب فيه ما دام داخلًا تحت عنوان التناسل المندوب إليه شرعًا.

الرعاية الشاملة

الاهتمام الكبير الذي يوليه الوالدان للأولاد، والحرص الشديد منهما على رعايتهم، غالبًا ما ينحصر في العناية بالجانب الجسمي المادي من شخصية الأولاد، كتوفير الغذاء والدواء واللباس وما يرتبط بذلك، إن الوالدين يعلنان حالة الاستنفار حينما يصاب الطفل بأذى أو مرض في جسمه، ويفتشان له عن العلاج والدواء بأسرع ما يمكن، كما يحرصان على إشباع حاجته من الغذاء، ولا يتحملان بكاءه من جوع أو عطش ولو لحظة واحدة، ويهيئان له ما يناسبه من كسوة ولباس..

لكن هناك جوانب أخرى في شخصية الطفل تحتاج إلى توجه ورعاية أكبر، إنه ليس جسمًا فقط، بل هو كائن إنساني متعدد الجوانب والأبعاد، ومسؤولية الوالدين هي الرعاية الشاملة، والاهتمام الكامل بتلك الجوانب المختلفة.

إن الإنسان مخلوق مميز، يختلف عن بقية الكائنات، بتنوع أبعاده،

فلديه نفس مليئة بالمشاعر والأحاسيس المتصارعة، والميول والرغبات المتناقضة، ولديه قدرات عقلية هائلة، ولأنه مدني بطبعه، له بعد اجتماعي، كما أنه مهيأ ومؤهل للعب دور كبير على مستوى الحياة والكون، باعتباره مستخلفًا للّه في الأرض.. لكن ما لديه من كفاءات وقدرات وميول ورغبات، حينما يأتي إلى الدنيا، إنما هي على شكل مواد خام، وبذور واستعدادات، فيحتاج إلى فترة من الرعاية والتربية، لتنمو طاقاته، وتتطور قدراته، ويتدرب على قضايا الحياة، وتتشذب غرائزه وميوله، وتترشد مساراته وسلوكه.

بينما بقية الحيوانات تعيش ضمن بعد محدود، تسير فيه بغريزة وتقدير إلهي، لذلك لا تحتاج إلا لقدر ضئيل من التنشئة والإعداد، ثم تنطلق لأداء دورها المحدد المرسوم، ففترة الطفولة عند الحيوانات قصيرة تقاس بالأيام أو بالأسابيع أو بالشهور في أقصى التقديرات، ولا تكاد تجد نوعًا من الحيوانات يحتاج إلى رعاية أمه لأكثر من سنة.. وبعض الحيوانات كالحشرات والأسماك قد لا تحتاج إلى تربية ورعاية أصلًا، فأنثى السمك تلقي بيضها في الماء قبل الفقس، فيفقس في الماء وبعض الأنواع منها يفقس البيض داخل السمكة ثم تضع اليرقات في الماء، وبمجرد أن تفقس السمكة من بيضها، أو تلقى يرقتها في الماء، تمارس حياتها بشكل مستقل دون حاجة لرعاية أو تدخل من قبل الأم.. وتوجد أنواع قليلة من السمك ترعى نسلها للحظات بسيطة جدًا.. علمًا بأن هناك اثنين وعشرين ألف نوع من السمك، وبعض الأسماك مثل سمكة القِد في كل موسم للتناسل تلقي تسعة ملايين بيضة، يفقس قسم

منها والباقي لا تساعده الأجواء على الفقس[1].

ولتميز الإنسان في مكانته ودوره وكفاءاته وقدراته، شاءت حكمة اللّه تعالى أن يمر بفترة طويلة من الحاجة لرعاية الأبوين وتربيتهما، لتتبلور شخصيته، وتنمو مواهبه وطاقاته، إلى جانب تكامله وتطوره الجسمي.

الوعي التربوي

وإذا كانت التربية تعني تنشئة الطفل ورعاية نموه في الأبعاد المختلفة جسديًا ونفسيًا وعقليًا وسلوكيًا، فإنها بحاجة إلى وعي وتخطيط ومعرفة، إن تصنيع أي جهاز من الأجهزة يستلزم معرفة وخبرة سابقة، وكلما كان الجهاز أكثر دقة وتعقيدًا تطلب مستوى أعلى من المهارة عند صانعه.

والتربية هي صناعة الشخصية الإنسانية، بما تحمل من مؤهلات وكفاءات، وتتطلع إليه من دور وإنجاز. ومما يلفت النظر أن اللّه تعالى قد عبَّر عن التربية بالصناعة والتصنيع، في الحديث عن نشأة نبي اللّه موسى عليه السلام وإعداده لدور الرسالة والقيادة، يقول تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[سورة طه، الآية:٣٩].

لكن ما نلحظه من واقع حياة الناس، أن الأكثرية يتعاطون مع تربية أطفالهم كعمل عفوي، ينطلق من العادات الموروثة، ويحكمه المزاج الشخصي الآني.

إن نسبة الإنجاب والمواليد في مجتمعاتنا تعتبر من أعلى المعدلات

(١) الموسوعة العربية العالمية، ج٢، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع)، ص١١١.

في العالم، هذا ما أشار إليه رئيس الهيئة العامة للإحصاء الدكتور فهد التخيفي أن المملكة أصبحت تحتل المرتبة الثانية على مستوى العالم في معدل النمو السكاني بعد نيجيريا، حيث يولد في السعودية طفل كل ١٩ ثانية.

وتشير إحصائيات وزارة الصحة السعودية أن عدد المواليد في السعودية سنويًا يراوح ما بين ٥٠٠ إلى ٦٠٠ ألف مولود، وأن معدلات الوفيات بين المواليد انخفضت بنسب عالية عما كانت عليه الحال قبل عشر سنوات نتيجة للعديد من الإجراءات الصحية والوقائية التي اتخذتها الجهات المعنية في هذا الصدد.

وتشير بيانات التركيب العمري للسكان السعوديين إلى أن نسبة الأطفال في السعودية الذين تقل أعمارهم عن ١٥ عامًا تصل إلى ٢٤,٨ في المائة من إجمالي عدد السكان السعوديين حسب آخر تعداد، والبالغ عددهم نحو ٢٠ مليون نسمة[١].

والسؤال المطروح هو مدى توفر الجدارة والتأهل التربوي عند العوائل التي تستقبل هذا العدد الكبير من المواليد.

إن أغلب الشباب والفتيات حينما يبدؤون حياتهم الزوجية، ويصبحون على أعتاب مرحلة الوالدية، لا يهتمون بالاستعداد لهذه المرحلة، بتعرف عالم الطفل الذي ينتظرونه بلهفة وشوق، وبتحصيل معرفة مناسبة عن برامج التربية وأساليبها ووسائلها، ليكونوا قادرين على

(١) https://www.stats.gov.sa/sites/default/files/ar-demographic-research-2016_5.pdf .

إنجاز هذه المهمة بنجاح.

إن مناهج الدراسة والتعليم للشباب والفتيات وخاصة في المراحل المتقدمة كالثانوية والجامعة ينبغي أن تولي هذا الجانب اهتمامًا مناسبًا، لأن رواد هذه المراحل يقتربون من الدخول في فئة الآباء والأمهات.

والمؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية في المجتمع يجب أن تضع برامج للإعداد والتوعية التربوية، فذلك يوفّر عليها الكثير من الجهود المستقبلية، ويساعدها على تحقيق أهدافها في إصلاح وإرشاد المجتمع.

لأننا إذا علَّمنا العوائل كيف تربي أبناءها تربية سليمة، فسنكسب جيلًا أقرب إلى الصلاح، وأسرع استجابة إلى الخير.

إن وجود دورات مركزة، ولو لعدة ساعات، يمكن أن تفتح آفاق ذهن المقبل على مرحلة الوالدية، ليكون أكثر تفهمًا وإدراكًا لمتطلبات العملية التربوية.

ولوسائل الإعلام والتثقيف دور مهم يمكن أن تؤديه في هذا المجال، عبر البرامج المختلفة، ونشر الكتب التوجيهية والمتخصصة في الحقل التربوي، وقد لفت نظري عنوان كتاب صادر عن معهد جيزيل لنمو الطفل، ترجمه الدكتور فاخر عاقل إلى اللغة العربية، بعنوان (التهيؤ للوالدية) وهو يتحدث كما يشير عنوانه عن تحضير الوالدين لصناعة الوالدية، ويحدثهم عن المشكلات المختلفة التي تصادف الوالدين والحلول العملية لها.

وفي تراثنا الإسلامي مخزون عظيم من المفاهيم والمعارف والتعاليم التربوية، التي لو قدر لها أن تنشر وتتداول في أوساط المجتمع، لأنتجت وعيًا عامًا باتجاه أفضل الأساليب التربوية. وهنا تأتي مسؤولية علماء الدين وخطباء المنبر، ليولوا هذا الجانب اهتمامًا أكبر في أحاديثهم وخطاباتهم.

وتجب الإشادة هنا بمبادرة الواعظ الديني الخطيب الشيخ محمد تقي فلسفي رحمه اللّه، وهو من أبرز خطباء إيران المعاصرين، حينما تناول موضوع (الطفل بين الوراثة والتربية) في محاضراته لشهر رمضان المبارك سنة ١٣٨١هـ وانتشرت في أوساط المجتمع الإيراني ثم ترجمت إلى اللغة العربية وطبعت في مجلدين، وأصبحت من أفضل المصادر في هذا الحقل.

كيف نفهم أطفالنا؟

ربما ينظر الكثير لأطفالهم نظرة سطحية ساذجة، فالطفل عندهم مساوق للجهل وعدم الفهم والإدراك والشعور، وفي مجتمعنا يعبر عن الأطفال بـ(الجهال) فضمن التحية يسأل الواحد منا الآخر: كيف حال الجهال؟ أي الأولاد والأطفال! ويتحدث رب العائلة قائلًا: سافرت مع الجهال!

وربما تستمر هذه النظرة عند بعض العوائل لأبنائها حتى حينما يتجاوزون مرحلة الطفولة، ويصبحون شبابًا، لكنهم يبقون في نظر أهاليهم أطفالًا وجهالًا.

إنها نظرة خاطئة، فالطفل ليس عديم الإدراك والفهم والشعور كما

يتصور الكثيرون، إنه يتحسس ما حوله، وتستيقظ مداركه في وقت مبكر، ويسجّل الانطباعات ويلتقط الصور، وتبدأ عملية التكوّن والتشكل لشخصيته المستقبلية وللدعامات التي ترتكز عليها، منذ السنوات الخمس أو الست الأولى، التي يطلق عليها علماء التربية السنوات التكوينية.

«فقد أثبتت الدراسات الإكلينيكية وكذلك الملاحظات التجريبية التتبعية أن السمات الأساسية للشخصية عند الكبير ما هي إلا امتداد لتأثير الخبرات الطفلية المبكرة التي سبق أن مر بها، فمنذ الأسابيع الأولى في عمر الطفل تبدأ قابليته للتعلم، والمقصود بالتعلم هنا، إما اكتساب مثيرات شرطية ـ عن طريق الاشراط الاستجابي أو الكلاسيكي ـ وإما تعديل في السلوك الإجرائي ـ عن طريق التدعيم أو مبدأ الإشراط الإجرائي ـ وأفادت تجارب كثيرة أن الطفل يمكنه في وقت مبكر جدًا، أن يكتسب مثيرات شرطية مثل صوت شوكة رنانة مثلًا، أو إضاءة ضوء، وذلك بالنسبة لأفعال منعكسة مثل رمش العين، أو حركة الرضاعة عندما تقترن تلك المثيرات بالمثيرات الطبيعية لهذه الأفعال المنعكسة»[1].

وعندما يصل الوليد إلى سن الثالثة يكون قد حقق نموًا حركيًا ومعرفيًا سريعًا، نموًا يتضمن أكثر من مجرد زيادة في الوزن والحجم، فمع تقدم السن يتقدم الطفل بشكل واضح في النمو الحركي، ونمو التآزر والنمو المعرفي بالبيئة المحيطة به، من عالم البشر وعالم الأشياء.

(١) محمد عماد الدين إسماعيل. الأطفال مرآة المجتمع، طبعة ١٩٨٦م، كتاب سلسلة عالم المعرفة (٩٩)، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)، ص٨-٥٢.

وتؤكد دراسات علمية أن الوليد يستطيع ابتداء من الشهر الرابع أن يميز الانفعالات التي تظهرها تغيرات الوجه البشري. فهو في هذا الشهر يطيل النظر إلى الوجوه المعبرة بالفرح، أكثر مما يفعل بالنسبة للوجوه الغاضبة أو المحايدة.

وملحوظ أن الطفل بعد سن الثانية تنمو لديه المفردات الكلامية بسرعة كبيرة، فعندما يبلغ السنة الثانية تكون حصيلته في حدود الخمسين مفردة، لكنه في الثانية والنصف يصل متوسط عدد المفردات لديه إلى ٤٠٠ كلمة تقريبًا، وببلوغه الثالثة يمتلك ما يقارب الألف كلمة في المتوسط، ويبدأ في تركيب الكلمات على شكل جمل مفيدة، ويصبح ٨٠٪ من كلامه مفهومًا للسامع، وفي السنة الرابعة يتقن اللغة تمامًا.

وما الأسئلة الكثيرة التي يمطر بها الطفل والديه عن كل شيء يستوقفه إلا مؤشر على تيقظ مداركه، ونشاط أحاسيسه ومشاعره.

ويركز الأطفال ملاحظتهم على سلوك وتصرفات من حولهم، ويكتسبون من تلك الملاحظة، في بناء قناعات وتصورات داخل نفوسهم تبقى آثارها على أفكارهم وتوجهاتهم المستقبلية، كما يندفعون لمحاكاة ما يشاهدون ويلاحظون.

هذه العينات من مظاهر النشاط الذهني والنفسي والسلوكي عند الطفل تفرض علينا إعادة النظر في رؤيتنا وفهمنا لعالم الطفولة، فالطفل ليس ذلك الكائن الجاهل الذي لا يمتلك أي مستوى من الإدراك والشعور، بل هو مشروع شخصية تأخذ في النمو والتكامل، وتنطوي على قدر من الفهم والإحساس يتزايد ويتصاعد يومًا بعد آخر.

المسؤولية تجاه الأطفال

الأطفال ليسوا ممتلكات يتصرف فيها الوالدان كما يحلو لهما، بل هم نعمة وأمانة من قبل اللّه تعالى، نعمة تستوجب الشكر، وشكرها القيام بواجب الرعاية والتربية، وأمانة تترتب عليها المسؤولية والالتزام.

والوالدان مسؤولان أمام اللّه عز وجل عن تعاملهما مع أولادهما الصغار، إضافة إلى تحملهما نتائج التربية في حياتهما.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: «وأما حق ولدك فتعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه، والمعونة على طاعته فمثاب على ذلك ومعاقب».

وإذا كان الطفل لا يملك قوة تردع الإساءة، فهو تحت تصرف أبويه، لكن اللّه تعالى هو الجهة التي تقف خلفه، وترصد أي إساءة تتوجه إليه، جاء في الحديث عن الإمام الكاظم عليه السلام: «إن اللّه عز وجلّ ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان»[1].

(١) الكافي. ج٦ ص٥٠.

رعاية الطفل

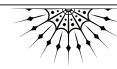

إذا أردنا أن نقيس وعي مجتمع من المجتمعات، وأن نعرف درجة إنسانيته وتحضّره، فإن ذلك لا يكون بملاحظة مستوى التقدم والإنجاز المادي الذي حققه ذلك المجتمع، ولا بالنظر إلى وسائل الرفاهية والرخاء التي يمتلكها. بل لعل من أفضل مقاييس الوعي والتحضر، معرفة مدى الاهتمام الذي يوليه المجتمع لرعاية أطفاله، ولتربية الجيل القادم من أبنائه.

ففي طريقة التعامل مع الطفل يتجلى وعي المجتمع، وينعكس نضجه الإنساني، وتطلعاته الحضارية. لأن الطفل هو إنسان المستقبل، وإتقان إعداده وتربيته، هو في الحقيقة تخطيط للمستقبل الأفضل، وضمانة لتقدم المسيرة. بينما ضعف الاهتمام التربوي ينذر بالتخلف والتراجع، ويشير إلى الإهمال والخواء في طموحات المجتمع وتطلعاته.

كما أن تربية الطفل تعني التعاطي مع الأحاسيس والمشاعر الإنسانية، في أولى مراحلها، وأدق مستوياتها، حيث البراءة والرهافة والصدق.

فالطفل مخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة، لا يدرك مصالحه، ولا

يستطيع التعبير عن حاجاته، ولا يتمكن من الدفاع عن نفسه، وهو صفحة بيضاء نقيّة، تستقبل ما يكتب فيها، وتسجّل ما يُملى عليها.

من هنا يجب التعامل مع الطفل من منطلق إنساني، وبروحيّة مخلصة شفّافة، وبعقلية مستقبلية بنّاءة.

وقد وفق الدكتور محمد عماد الدين إسماعيل حينما اختار لكتابه القيّم عن النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية عنوان (الأطفال مرآة المجتمع)[1] فهم بالفعل مرآة تعكس وعي المجتمع وإنسانيته ونضجه، وترتسم فيها صورته المستقبلية.

مآسي الطفولة المعاصرة

وإذا نظرنا إلى الحضارة المادية الغربية السائدة من خلال هذا المنظار، وحاولنا تقويمها وقياس إنسانيتها عبر واقع الطفولة في ظلها، فإننا سنكتشف جانب الخواء والفساد في هذه الحضارة رغم تقدمها العلمي والتكنولوجي.

صحيح أنّ الأمم المتحدة أصدرت إعلانًا لحقوق الطفل وأنشأت منظمة تابعة لها لرعاية الطفولة هي (اليونيسيف) لكن ما تعانيه الطفولة اليوم من مآسٍ وفظائع على مستوى العالم، قد صيّر ذلك الإعلان حبرًا على ورق.

لقد جاء في ديباجة إعلان حقوق الطفل ما يلي:

«بما أنّ الطفل بسبب قصوره من ناحية النضج البدني والعقلي، في

(١) الأطفال مرآة المجتمع، سلسلة عالم المعرفة (٩٩).

حاجة إلى أسباب خاصة للوقاية والرعاية تشمل الحماية الشرعية اللازمة قبل ولادته وبعدها... وبما أنّ لزامًا على الجنس البشري أن يمنح الطفل خير ما عنده، لذا فإنّ الجمعية العمومية تصدر هذا (الإعلان لحقوق الطفل) بهدف جعل الطفل ينعم بطفولة هنيئة، ويتمتع بالحقوق والحريات الواردة في الإعلان، لخيره ولمصلحة المجتمع، وتهيب بالآباء والأمهات وبالرجال والنساء، والأفراد وبالهيئات التي تعنى طواعية برعاية الطفولة، وبالسلطات المحلية والحكومات، أن تعترف بهذه الحقوق، وتعمل على مزاولتها بإجراءات تشريعية وغيرها»[1].

ثم يذكر الإعلان عشرة مبادئ تنظم حقوق الطفل وتكفل مصلحته. لكنها تبقى مجرد توصيات، ومبادئ نظرية، أمّا الواقع الفعلي للطفولة في عالم اليوم، فيعج بالآلام والمآسي والعذابات، لسبب واضح يكمن في طبيعة النزعة المادية الشهوانية لهذه الحضارة، حيث يعيش الإنسان حالة دائمة من الاستثارة والتحريض لشهواته ورغباته المصلحية، مما يجعله لاهثًا خلف تحقيقها، غير ملتفت ولا مبالٍ بأي قيمة أخلاقية، أو مشاعر إنسانية.

هذه الأجواء المادية المحمومة لا تبقي في حياة الإنسان متسعًا للعواطف، ولا مجالًا للمبادئ، فالمصلحة الذاتية حاكمة، والشهوات والملذات هي الغاية.

لذلك تبدو معاناة الطفولة إفرازًا طبيعيًا، ونتيجة متوقعة، لهذه

(١) جان شازال. حقوق الطفل، ترجمة: ميشال أبي فاضل، سلسلة زدني علماً (١٦٩)، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، (بيروت، باريس: منشورات عويدات).

الحضارة المادية الجارفة.

أرقام وحقائق مذهلة

قبل سنوات انعقد في مدينة نيقوسيا مؤتمر عن أطفال العالم، لمناسبة مرور عشر سنوات على صدور اتفاقية حقوق الطفل عن الأمم المتحدة، وعالج المؤتمر قضايا الطفولة ومشاكلها، وما تواجهه من أخطاء تهدد حياة الأطفال ومستقبلهم، وقد نظمه مركز الحوار العالمي بالاشتراك مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) تحت شعار (الأطفال حقوق وحرمان).

وهيمنت إحصاءات ومعلومات وثائقية مذهلة عن أوضاع الأطفال في العالم، على أجواء المؤتمر، فقد تأكد وجود ١٣٠ مليون طفل لم يحصلوا على أي نوع من التعليم، و١٠٠ مليون طفل يعملون في ظروف سيئة وخطيرة، وهناك ١٠٠ مليون طفل لا مأوى لهم يعيشون في الشوارع، ومليون آخر يجبرون على الدعارة.

وقال مدير مركز الحوار العالمي الديبلوماسي والصحافي المخضرم (أريك رولو): إن التطورات الحاصلة اليوم وفي ظل سياسة الاقتصاد الحر وسهولة استعمال التقنيات ووسائل التقدم والاتصال، وانتشار مفاهيم العولمة، عملت على عدم تحقيق فائدة من شأنها تخفيف وطأة مشاكل الطفولة، وسوء استخدام وتشغيل الأطفال في الصناعات الكبرى، من قبل شركات متعددة الجنسيات في بلدان العالم النامي، حيث يعمل الأطفال ويستغلون لتحقيق النمو المالي السريع على حساب معاناتهم.

وتخللت وقائع المؤتمر شهادات مؤثرة ومؤلمة، قدمها الأطفال

من ضحايا الكوارث الاجتماعية، كالحرمان من التعليم، والعيش في الشوارع، وتجرع مرارة التّشرد والعمالة الرخيصة، وقدموا أيضًا شهادات عن رفاقهم من ضحايا الاعتداء الجنسي، وعُرِضت أفلام ومقابلات ومشاهد حيّة، عن مختلف الخروقات والاعتداءات بحق العديد من الأطفال، وفي مناطق مختلفة من العالم.

وذُكر إحصاء عن ٢٠٠٠ صبي يعملون في الدّعارة في مدينة برلين وحدها، وتعذّر إحصاء عدد الصبايا!! ويوجد أكثر من ٦٠٠ موقع على الإنترنت لترويج دعارة الأطفال!![1]

وحتى المراكز والمؤسسات الاجتماعية التي تنشأ بغرض الرعاية والحماية للأطفال، فإنها أصبحت في بعض المجتمعات المادية مرتعًا للفساد، والاعتداء على الأطفال واستغلالهم، كما تحدث تقرير رسمي عن تحقيق حول أفظع عملية استغلال جنسي للأطفال تكشف في بريطانيا، إذ إنّ حوالي ٦٥٠ طفلًا تعرضوا للاستغلال الجنسي بصورة منهجية على مدى عشرين عامًا في مراكز اجتماعية في مقاطعة ويلز. وكانت محكمة تشكلت خصيصًا في قرية أولو الواقعة في منطقة ويلز، قد تلت أو استمعت لشهادات أكثر من خمسمائة شخص خلال ٢٠٣ أيام من الجلسات المؤلمة، في تحقيق كلّف حوالي ١٢ مليون جنيه إسترليني، ووصف الشهود ـ ومعظمهم أصبح اليوم من الراشدين المحبطين كلياً ـ فظائع عن سوء المعاملة التي تعرّض لها حوالي ٦٥٠ طفلًا لا يبلغ بعضهم السبع سنوات في أربعين مركزًا اجتماعيًا موزعة في المنطقة. وكشفت

(١) جريدة الحياة. لندن، الصادرة بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٩٨م.

الوثيقة أنّ ما لا يقل عن ١٢ ضحية انتحروا في السنوات التي تلت رحيلهم من المراكز. ولفت التقرير إلى مأساة أطفال لم يجدوا شخصًا جديرًا بالثقة يروون له معاناتهم، خصوصًا وأنّ مسؤولي هذه المؤسسات والعاملين الاجتماعيين المكلفين حمايتهم كانوا أحيانًا من جلاّديهم[١].

لكن صحيفة (دايلي ميل) كشفت ما هو أفظع وأكثر هولًا: أنّ شبكة كبيرة تنظم الاعتداء على الأطفال الذين يخضعون للرعاية يعتقد بأنّ عدد ضحاياها يزيد على ١١ ألف طفل خلال أكثر من عشرين عامًا[٢].

من ناحية أخرى تحدثت الصحافة الألمانية عن قيام رجال العصابات بشراء الأطفال الرضع في ألمانيا، واستخدام جثثهم في عمليات تهريب المخدرات.. واعترف رئيس إحدى العصابات بأنهم يشترون الأطفال من عاهرات هامبورج وباريس الحوامل قبل ولادتهن، يتمّ بعد ذلك تهريب حديثي الولادة إلى الدنمارك حيث يجري قتلهم وحشو جثثهم بأكياس الهيروين. وتتولى نساء عاملات في إطار العصابات المنظمة السفر بالرضيع باستخدام جوازات سفر مزورة تحمل اسم الطفل إضافة إلى اسم المرأة الأم. وتدعي النساء عادة أنّ الطفل نائم أو مريض إذا لاحظت شرطة الحدود سكونه غير الاعتيادي[٣].

هكذا يضرب الفساد بجرانه في أعماق مجتمعات الحضارة المادية، وحتى العائلة لم تعد ملاذًا آمنًا للأطفال في تلك المجتمعات، فقد نشرت

(١) جريدة الحياة. لندن، الصادرة بتاريخ ١٧ فبراير ٢٠٠٠م.
(٢) جريدة الحياة. لندن، الصادرة بتاريخ ١٩ فبراير ٢٠٠٠م.
(٣) جريدة الشرق الأوسط. لندن، الصادرة بتاريخ ٤ يوليو ١٤١٩هـ.

إحدى الجمعيات الخيرية البريطانية التي تُعنى بشؤون الطفل أرقامًا عن عدد الأطفال الفارّين من بيوتهم والتي وصلت هذا العام (١٩٩٩م) إلى مائة ألف طفل!! ووجدت الجمعية أن أسباب الفرار تتمحور حول الأمور العاطفية والعلاقات العائلية وليس الفقر. وهناك أسباب أخرى مثل المخدرات والكآبة والمشاكل مع الشرطة. وتقول الدراسة أن نسبة الفارّين تتساوى في المناطق الغنية والمناطق الفقيرة، لكن نسبة الفارّين من الأطفال البيض كانت أعلى من الأطفال الأسيويين الفارّين[١].

الطفل ريحانة وأمانة

حينما يشرع الإسلام أحكامًا لرعاية الطفل وحسن تربيته، فإنه يؤسس لذلك بتعليمات وتوجيهات تؤكد البعد الإنساني، والمسؤولية الدينية، في التعامل مع الطفل. وأساسًا فحب الأطفال والشفقة عليهم نزعة وجدانية فطرية، لكنها قد تضعف أو تختفي لعوامل سلبية طارئة.

والتوجيهات الإسلامية في هذا المجال تشكل استثارة لتلك النزعة الوجدانية، وتحصينًا لها من التأثيرات المصلحية، وإزالة ما قد يتراكم على فطرة الإنسان النقية من غبار الشهوات والأهواء.

من هنا نجد في النصوص الإسلامية عددًا كبيرًا من الأحاديث التي تعطي رعاية الأطفال بعدها الإنساني، وتضفي عليها صبغة العمل العبادي المقرّب إلى اللّه تعالى. وتجعلها من أهم مسؤوليات الإنسان في هذه الحياة.

(١) جريدة الشرق الأوسط. لندن، الصادرة بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٩٩م.

وفيما يلي عيّنات من تلك النصوص الشريفة:

١. عنه ﷺ: «أولادنا أكبادنا»[١].

٢. عنه ﷺ: «من قبّل ولده كتب اللّه عز وجل له حسنة، ومن فرّحه فرّحه اللّه يوم القيامة»[٢].

٣. عنه ﷺ: «أحبوا الصِّبيان وارحموهم فإذا وعدتموهم ففوا لهم فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم»[٣].

٤. عنه ﷺ: «الولد للوالد ريحانة من اللّه»[٤].

٥. عنه ﷺ: «نظر الوالد إلى ولده حبًّا له عبادة»[٥].

٦. عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «قال موسى بن عمران: يا رب، أيّ الأعمال أفضل عندك؟ فقال: حبُّ الأطفال فإن فطرتهم على توحيدي فإن أمتّهم أدخلهم برحمتي جنتي»[٦].

٧. عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إن اللّه ليرحم الرجل لشدة حبه لولده»[٧].

٨. عن كليب الصيداوي قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «إن اللّه عز وجل

---

(١) بحار الأنوار. ج١٠١ ص٩٧.
(٢) المصدر نفسه. ص٩٩.
(٣) المصدر نفسه. ص٩٢.
(٤) المصدر نفسه. ج١٠١ ص٩٨.
(٥) ميرزا حسين النوري الطبرسي. مستدرك الوسائل، ج١٥، الطبعة الثالثة١٩٩١م، (بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث)، ص١٧٠ حديث ١٧٨٩٤.
(٦) بحار الأنوار ج١٠١ ص٩٧.
(٧) المصدر نفسه. ص٩١.

ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان»[1].

رضاع الطفل

من أهم احتياجات الطفل وأوائل حقوقه، توفير الغذاء الذي يقوّم جسمه، ويسيّر حياته، والطريق الوحيد لتغذيته في الفترة الأولى من حياته هو الإرضاع، حيث يمتص اللبن من ثدي أمه أو امرأة أخرى، أو عبر الرضاعة الصناعية.

والرضاعة حق طبيعي للطفل أوجبه الشارع، فإذا كان للطفل مالٌ جاءه عن إرث أو أي طريق آخر، وكان رضاعه يتطلب نفقة، فيمكن أن تؤخذ من ماله، وإن لم يكن للطفل مال وجب على أبيه تحمّل نفقات إرضاعه، فإن لم يكن الأب قادرًا، أو كان متوفى، انتقلت المسؤولية إلى جده، ومع عدمه أو عدم قدرته، تكون أمه مكلفة بذلك[2].

وأجمع فقهاء الشيعة على عدم وجوب الإرضاع مبدئيًا على الأم، وأنها تستحق الأجرة على إرضاع طفلها من قبل أبيه أو جده «وينبغي أن لا تأخذ أجرة لإرضاع طفلها من زوجها، ويستحب لزوجها أن يعطيها أجرة على ذلك»[3].

ووافقهم على ذلك الحنابلة والشافعية، وقال الحنفية إن كانت الأم في عصمة الأب أو في عدته، فليس لها طلب الأجرة، أمّا المالكية فذهبوا إلى

(١) الكافي. ج٦، ص٥٠.
(٢) راجع: السيد علي السيستاني. منهاج الصالحين، ج٣، ص١١٩، مسألة ٣٩٦.
(٣) السيد محمد الحسيني الشيرازي. المسائل الإسلامية، الطبعة الخامسة والعشرون ١٤١٤هـ، (بيروت: دار العلوم)، ص٦١٧، مسألة٢٦٦٦.

وجوب الرضاع على الأم بلا أجرة، إن كانت ممن يرضع مثلها، وكانت في عصمة الأب ولو حكمًا كالرجعية، أمّا البائن من الأب، والشريفة التي لا يرضع مثلها فلا يجب عليها الرضاع، إلا إذا تعينت الأم لذلك بأن لم يوجد غيرها[1].

ولا شيء أفضل من رضاع الأم لطفلها. فعن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمه»[2].

فمن لطف اللّه تعالى على الإنسان أن يهيئ له الغذاء المناسب منذ اللحظة الأولى لولادته، عبر ثدي أمه، حيث تبلغ كمية اللبن الذي تفرزه الأم نحو كيلو غرام يوميًا، يتغير تركيبه تدريجيًا مع نمو الطفل بصورة تتوافق مع حاجة جسم الطفل في مراحل نموه المختلفة، فقد وجد مثلًا أن ثديي الأم يفرزان في الأيام الأولى بعد الولادة لبنًا كثيفًا يسمى اللبأ (colostruA) وهو غني جدًا بعناصر المناعة التي يحتاجها جسم الطفل، في فترة الطفولة الأولى، حيث يكون جسمه ضعيفًا لا يقوى على مواجهة المرض، حتى إن الشافعية نصوا على وجوب إرضاع الأم لطفلها اللبأ وإن وجد غيرها؛ لأن الطفل لا يستغني عنه غالبًا[3].

والرضاع من الأم له بعد آخر غير الأهمية الغذائية، هو ما يفيضه على

(١) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية ج٢٢، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية)، ص٢٤٠.
(٢) الكافي. ج٦، ص٤٠.
(٣) الدكتور أحمد محمد كنعان. الموسوعة الطبية الفقهية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، (بيروت: دار النفائس)، ص٤٨٣.

الطفل من حنان الأمومة وعطفها، لذلك اعتبر الإسلام أن «الأم أحق بإرضاع ولدها من غيرها، فليس للأب تعيين غيرها لإرضاع الولد إلا إذا طالبت بأجرة وكانت غيرها تقبل الإرضاع بأجرة أقل أو بدون أجرة فإن للأب حينئذٍ أن يسترضع له أخرى»[1] يقول تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾[سورة الطلاق، الآية:٦].

ولأهمية مسألة رضاعة الطفل فقد تحدثت النصوص الإسلامية حتى عن حدودها الزمنية فالحد الأقصى للرضاعة سنتان كاملتان، يقول تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [سورة البقرة، الآية:٢٣٣] ويمكن تخفيض هذه المدة حسب مقتضيات صحة الطفل وسلامته، وبعد دراسة الوالدين وتقويمهما لوضعه، فلا يستبد أحدهما بقرار إنهاء رضاعه قبل إكمال السنتين يقول تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾[سورة البقرة، الآية:٢٣٣].

لكن روايات وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تنهى عن إنقاص الرضاع عن واحد وعشرين شهرًا، وتعتبر ذلك نوعًا من التعدي على حق الطفل، كما في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «الرضاع واحد وعشرون شهرًا فما نقص فهو جور على الصبي»[2].

ومن المناسب أن نشير إلى أهمية الرضاعة الطبيعية، وضرورة

(١) السيد علي الحسيني السيستاني، منهاج الصالحين، المعاملات، القسم الثاني (ج٣)، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، (قم المقدسة: مدين)، ص١٢٠، مسألة ٣٩٧.
(٢) وسائل الشيعة. ج٢١، ص٤٥٥، حديث ٢٧٥٦٧.

اجتناب الرضاعة الصناعية عبر القارورة من الألبان المصنّعة؛ لأنه يحرم الطفل من حنان أمه الذي يعايشه وهو يرضع من ثديها، كما أن لبن الأم يحتوي على كمية كافية من البروتين والسكر بنسب تناسب الطفل يومًا بيوم، ولا يتوفر مثل ذلك في الألبان المحضّرة من لبن الأبقار أو الأغنام أو الجواميس، إضافة إلى ما قد يحصل من انتقال الجراثيم والميكروبات وعدوى الأمراض نتيجة للخلل في تعقيم الرضّاعة (القارورة) والماء، والأضرار المحتملة من المادة المطاطية التي تصنع منها الحلمات الصناعية، وقد حذرت دراسات نشرت مؤخرًا من احتمال إصابة الطفل بالسرطان من جراء ارتضاعه بالحلمات المطاطية.

حضانة الطفل

الحضانة بفتح الحاء، ويصح بالكسر، وأصلها من حضن الطير بيضه، أي ضمه تحت جناحه، والغاية منها المحافظة على الطفل، وتربيته ورعاية مصلحته. ومن حق الولد أن يعيش في كنف والديه وتحت رعايتهما، لذلك كانت الحضانة وظيفة مشتركة بين الوالدين في السنتين الأوليتين من حياته. فلا يجوز للأب أن يفصله عن أمه خلال هذه المدة، وإن افترق عنها بفسخ أو طلاق، إلا إذا تزوجت شخصًا آخر فإنه يسقط حقها في حضانة الطفل وينحصر في الأب.

وبعد إكمال السنتين هناك نصوص وروايات مختلفة حول أحقية الحضانة مع عدم زواج الأم طبعًا. والمشهور عند فقهاء الشيعة أن الأب أولى بولده الذكر بعد السنتين، والأم أولى بالبنت إلى سبع سنين ثم تعود رعايتها إلى الأب.

ويميل بعض الفقهاء إلى أن الحضانة للأب بعد السنتين سواء كان الولد ذكرًا أو أنثى لكن الأفضل أن لا يفصله عن أمه حتى يبلغ سبع سنين[1].

وذهب الحنفية إلى أن حضانة الأم للصبي تمتد حتى يستغني عن رعاية النساء له، وقدروه بسبع سنين، أما حضانة البنت فتظل حتى تبلغ. وقد ذهب المالكية إلى أن حضانة الأم للصبي تستمر حتى البلوغ وللبنت حتى زواجها. وعند الحنابلة يظل الطفل الذكر عند حاضنته حتى يبلغ سبع سنين، فإن اتفق أبواه بعد ذلك أن يكون عند أحدهما جاز، وإلا خيّر هو فكان مع من اختار منهما، أما الأنثى فإذا بلغت سبعًا فحضانتها لأبيها. وعند الشافعية تستمر حتى سنّ التمييز سبع أو ثماني سنين ذكرًا كان أو أنثى، ثمّ يخيّر بين أبويه[2].

وتظهر هذه التشريعات اهتمام الإسلام بتفاصيل شؤون رعاية الطفل.

(١) السيد علي الحسيني السيستاني، منهاج الصالحين، المعاملات ج٣، ص١٢٠، مسألة ٤٠١.

(٢) الموسوعة الطبية الفقهية. ص٣٦٤.

التربية وصناعة الإنسان

الإنسان يأتي لهذه الدنيا صفحة بيضاء، يمكن أن يُكتب فيها أي شيء، وهو أرض خالية تستقبل أي بذرة تلقى فيها.

تتشكل شخصية الإنسان وتتكون صفاته النفسية وتوجهاته الذهنية بالتربية والتنشئة التي يمر بها، وخاصة في السنوات الأولى من عمره، وهي ما يطلق عليها خبراء التربية أنها السنوات التأسيسية التي تتأسس فيها معالم شخصية الإنسان، فهي التي تحدد توجهات هذه الشخصية في مستقبل حياتها لاحقًا.

لذلك ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه».

وذلك في تعبير واضح أن التربية التي يتلقاها الإنسان في صغره وطفولته، هي التي تكوِّن الإنسان، وهذا أمر لا يحتاج إلى برهنة واستدلال. غير أن البشرية الآن تواجه مشكلة كبيرة على هذا الصعيد، ذلك أن الأسرة ما عادت تقوم بالتنشئة والتربية كما كان ذلك في الماضي، إن مختلف الشعوب والمجتمعات تشعر الآن بخلل كبير في صياغة وبناء

نفسية الأجيال المعاصرة، وحينما يبحث الخبراء والعلماء في مكمن هذا الخلل، فإنهم يضعون يدهم على هذه النقطة الأساس، وهي العائلة التي فقدت دورها الكبير نحو أطفالها.

وهذه الحالة ولّدتها أسباب، من أبرزها:

أولاً: ارتفاع مستوى الأنانية

الإنسان المعاصر أصبح أكثر أنانية، يقدّم ذاته ومصلحته الشخصية، ويؤثرها على كل شيء آخر. في الماضي كان الإنسان يهتم بأطفاله وأبنائه على حساب رغباته وشهواته ومصالحه الشخصية، بينما في هذا العصر وبسب قوة الحالة الذاتية، والتوجهات المادية، انخفضت حالة الإيثار عند العائلة والوالدين تجاه الأبناء، لذلك نجد في بعض المجتمعات أصبح التوجه للإنجاب ضعيفًا. حيث يتساءلون هناك لماذا ننجب، ونحمل أنفسنا الأعباء؟ ويكتفون بأقل عدد ممكن من الأطفال، حتى لا يحملون أنفسهم عناءً أكثر وجهدًا أكبر، ويتعجبون من المجتمعات الإسلامية، كيف أنهم يكثرون من الإنجاب والتناسل.

في بعض المجتمعات دقوا جرس الإنذار، كما في اليابان وألمانيا والدول الإسكندنافية، وذلك لأن عدد الوفيات عندهم أوشكت أن تكون أكثر من عدد المواليد، والشيوخ الكبار في السن بدأ عددهم يزداد ويرتفع في مقابل انخفاض عدد الأطفال والشباب.

وإذا رأت الأم أن أمامها فرصة لتحقيق رغبة من الرغبات، وشهوة من الشهوات قد لا تفكر في أبنائها. في الماضي كانت تحصل مثل هذه الأمور ـ كحالة شاذة ـ.

ثانيًا: اتساع متطلبات الحياة واهتماماتها

هذه المتطلبات الكثيرة جعلت الأب والأم في حالة من اللهث لتوفير المكاسب واحتياجات الحياة المعاصرة، فالأب والأم يعملان، ومن ثَمَّ لا يجد الأبناء الاهتمام الكافي لانشغال الأبوين عنهما لفترات طويلة.

في تقرير تحدث عن انتشار المخدرات والإدمان في أفغانستان، وعن وجود أكثر من مليون مدمن للمخدرات في هذا البلد، ذكر بأن من أهم أسباب الإدمان على المخدرات ما تقوم به الأمهات في القرى المختلفة، حيث يعملن في حياكة السجاد، فيصرفن ساعات طويلة في الحياكة، فيجدن مشكلة في التعامل مع أبنائهن الصغار، ولم يجدْنَ من حل سوى أن يعطين أطفالهنَّ جرعه من الهيروين، ليخدرنهم حتى يناموا، فتتفرغ الأم للعمل في حياكة السجاد، لذلك نشأ جيل في أفغانستان من صغره على هذا المخدر.

هذه الحالة التي تعيشها العائلة في هذا العصر أثرت كثيرًا على اهتمامها بتربية أولادها، فتجد الخادمة في المنزل هي مَن تربي الأطفال، وهي بدائل لا تقوم بمستوى ما تقوم به الأم، لأن هذه البدائل تقوم بعمل وظيفي.

ونحن نقرأ ما تنشره بعض التقارير من أنه في كثير من الأحيان تسبب هذه البدائل المشاكل الكبيرة للعائلة، فالعاملة والخادمة لا نعلم من أي بيئة جاءت، ولا نعلم مدى إخلاصها، هذا إلى جانب أن تعامل الأسرة معها يؤثر على تعاملها مع أبناء الأسرة. فعندما يكون هناك نوع من الإساءة إليها، سينعكس هذا على تعاملها مع بقية أفراد الأسرة.

وإذا استغنت بعض الأسر عن الخادمات والعاملات، فإنها تستعين بالأجهزة الإلكترونية والبرامج الحديثة، فتوجه أطفالها ليقضوا أكبر وقت أمام التلفزيون أو الكمبيوتر، حتى تنشغل الأم بأمورها والأب بأموره، قد يكون للكمبيوتر برامج مفيدة ونافعة، لكن هناك دراسات علمية تثبتُ أن إدمان الأطفال على متابعة أفلام الكرتون له تأثير على أعصاب الأطفال وعقولهم، كما أن هذه المواد الموجودة في الألعاب ليست محايدة على المستوى الأخلاقي، فهي تبشر بأنماط سلوك معين، كما نرى موضوع العنف ـ مثلًا ـ، فأغلب المادة الموجهة للأطفال تتكون من مشاهد عنفية، وهذه تؤثر في توجهات الأطفال وسلوكياتهم.

ثالثًا: تراجع الدورالعائلي في التربية

تعاني البشرية اليوم من مشكلة تراجع الدور العائلي في التربية والتنشئة، وفي مقابل ذلك هناك عوامل كثيرة تستقطب الأطفال للإجرام والانحراف، مع حصانة ضعيفة، ومتغيرات كثيرة تدفع نحو الفساد، والنتيجة ما نشهده في المجتمع المعاصر، حيث تعج المجتمعات بمظاهر الفساد.

وهناك حديث عن عودة عدد من النساء الأمريكيات للمنزل من أجل تربية الأطفال، وهذا بعد الإقبال الواسع على العمل، وبعد أن كان البقاء في المنزل وكأنه حالة متخلفة، وبعد أن كان التفاخر بالعمل في صفوف النساء رائجًا، أصبح هناك ردات فعل، كما في تقرير نشرته جريدة الشرق الأوسط في تاريخ ٧ صفر ١٤٢٧هـ، حيث يشير هذا التقرير إلى عودة أكثر من ٦ ملايين امرأة أمريكية إلى البيت، للاهتمام بتربية وتنشئة

أبنائهن، وأصبح الموضوع مطروحًا ومثار جدل في الوسط الاجتماعي الأمريكي[1].

كما أن هناك دراسة أجريت على دار الرعاية الاجتماعية للفتيات في مدينة الرياض تشير إلى ضعف التربية، حيث تتحدث هذه الدراسة أن الفتيات اللاتي وقعن في الانحراف كان بسبب الحرمان العاطفي، وافتقاد الدفء والحنان الكافي الذي لا يتوفر لهنَّ في المنزل، وكان ذلك بوابة تخرج منها الفتاة للانحراف.

فالتربية هي ما تعول عليه البشرية من أجل تلافي هذا الاندفاع والانزلاق من قبل الأجيال الناشئة، التربية هي التي تصنع الإنسان، ولهذا فإن ما يحتاج إلى الاهتمام هو كيف تقوم العائلة بالدور السليم والصحيح في تربية أطفالها، فمن آخر التوجهات الاجتماعية في مدينة نيويورك الأمريكية، هو الإقبال الواسع من قبل الأسر الثرية على التسجيل في دورات تهتم بتدريب الأسرة على تنشئة الأبناء، وتربيتهم تربية جيدة، وهذا توجّه جيد، فالتربية تستحق أن يهتم الإنسان ببرامجها حتى يتقن القيام بهذا الدور.

(١) صحيفة الشرق الأوسط الصادرة يوم الأربعاء ٠٧ صفر ١٤٢٧هـ، ٨ مارس ٢٠٠٦، العدد ٩٩٦٢.

تنشئة الأبناء قيميًّا وأخلاقيًّا

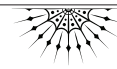

يتحمّل الوالدان مسؤولية كبيرة في تنشئة الأبناء على القيم والمبادئ والسلوك الحسن، ذلك أن معظم الأسر تهتمّ بالتنشئة الجسمية والترفيهية لأبنائها، وتهمل التوجيه والإرشاد السلوكي والأخلاقي عند الأبناء، بخلاف التعاليم الإسلامية التي تحثّ على هذه المسألة. ويكفينا ما تعرضه الآيات المباركة في سورة لقمان، حيث تورد جملة من الوصايا اللقمانية التي وجّهها إلى ابنه، فتبدأ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[سورة لقمان، الآية: ١٣]، إلى أن تصل الآيات إلى قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[سورة لقمان، الآية: ١٧].

إن مسؤولية الأسرة في تنشئة أبنائها على القيم والمبادئ مسؤولية كبرى، ومهمّة شاقة، ولعلّ مما ييسّر عملية التربية السلوكية على الأسرة أمرين، هما:

الأول: أن يكون الوالدان قدوة للأبناء

على الأب أن يكون قدوة لأبنائه في السلوك القويم، وتحمّل المسؤولية تجاه القيم والمجتمع. يريد بعض الآباء أن يظهروا أمام أبنائهم بصورة خلاف ما هم عليه في الواقع. فحينما يسافر البعض بعيدًا عن أهله، يقوم ببعض السلوك الخطأ، الذي ينهى أبناءه عنه عندما يكون بينهم، وهذا ازدواج في الشخصية.

وفي حالات أخرى، ترى البعض وهو في المنزل يدفع أبناءه إلى غرف النوم، حتى يجلس ليتابع بعض الأفلام والمسلسلات المخلّة بالآداب، متصوّرًا أنه يقوم بذلك دون مراقبة، بينما يدرك الأبناء ما يقوم به مثل هؤلاء الآباء، فالصغار لديهم درجة من الذكاء يفكرون ويتحسّسون بمختلف الأساليب والوسائل.

ومما يؤسف عليه أن تأتينا رسائل من بعض الزوجات، أو الأبناء، يشتكون فيها من ربّ الأسرة بأنه يطالع بعض المشاهد الإباحية، سواء على التلفاز، أو على جهاز الحاسب الآلي، وفي بعض الأحيان على الهاتف الجوّال. في بعض الرسائل التي تأتينا على البريد الإلكتروني، تشتكي بعض الزوجات من أن زوجها يتابع هذه الأمور، ويصرف وقتًا في متابعتها، مع علمه بأن ذلك أمر محرّم.

الثاني: التوجيه والإرشاد من الصغر

ينبغي للأب أن يربي أبناءه على تحمّل المسؤولية تجاه مجتمعهم، فيربيهم على العمل التطوعي، وعلى القيام بواجب الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، فيما يكون له نفع عام على المجتمع. فبعض الآباء يبخلون بأبنائهم على الأعمال الاجتماعية الخيرية، فلا يريد أن يشغلهم بأمور غير الدراسة، وهذا خطأ كبير تجاه الابن، وتجاه القيم التي يؤمن الإنسان بها. فها هو لقمان يوصي ابنه بأن يكون صالحًا مصلحًا، فيقول: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، يوجّه ابنه إلى أن يكون آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، وفي وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الأخيرة يقول لابنيه الحسنين عليهما السلام: «كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا وَ لِلْمَظْلُومِ عَوْنًا »[1].

إن الإنسان إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وسار في هذا الطريق، تواجهه صعوبات وعوائق، عليه أن يربي أبناءه على تحمّل الصعوبات والمشكلات التي قد تواجههم. إن لقمان يوصي ابنه قائلًا: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، فما يصيب الإنسان من مشاكل في طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن تحمّلها من عزم الأمور.

بعض الأسر ينتجون أبناء عاملين في خدمة الدين والمجتمع، وهم بذلك يتحمّلون المسؤولية تجاه الدين والمجتمع، مع كل الأعباء والصعوبات، ويتوارثون القيام بهذا الدور، وهو توفيق كبير من الله. وهذا ما نقرؤه في سيرة أهل البيت عليهم السلام، إذ كانت حياتهم مع أسرهم في هذا الطريق الذي يتحملون فيه الأعباء، ويواجهون الصعوبات والمعاناة في سبيل خدمة الدين والأمة.

(١) نهج البلاغة. خطبة ٤٧.

وقاية الأبناء من الشقاء

شددت الشريعة الإسلامية على بعدين ينبغي أن يكونا عماد اهتمام الآباء في تربية أبنائهم، أولهما توفير احتياجاتهم الأساسية في الحياة، والآخر الحفاظ على سلامة الأبناء الروحية والمعنوية لصلاحهم في الدنيا وللنجاة في الآخرة.

من البديهي أن يهتم الإنسان في هذه الحياة بوقاية أبنائه وأفراد عائلته من المكاره والأخطار، فيسعى في سبيل ذلك لتجنيبهم مصادر الألم والمرض، وإذا أصيب أحدهم بسوء سعى إلى علاجه فورًا ليضمن شفاءه، فهذا هو الوضع الطبيعي إزاء تحمل أي إنسان لمسؤوليته تجاه عائلته.

في موازاة ذلك ينبغي للمرء أن يوسع أفقه فيفكر في تجنيب أفراد عائلته المساوئ الروحية والأخلاقية أيضًا. ذلك أن شقاء الإنسان وبلاءه لا يأتي نتيجة المشاكل المادية فقط، فالإنسان ليس جسمًا ومادة فحسب، كما أن مصيره غير مقتصر على هذه الدنيا فقط.

إن الآباء مدعوون للتفكير في مستقبل أبنائهم الأخروي، تمامًا كاهتمامهم بمستقبلهم الدنيوي. فبقدر اهتمام الآباء بأن تعيش عوائلهم

في سكن مناسب، ينبغي أن يكون لديهم ذات الاهتمام في ضمان سكنهم المناسب في الآخرة.

من هنا كان على الإنسان أن يفكر في السلامة الروحية والمعنوية لعائلته، وأن يقيهم الميكروبات والجراثيم التي يمكن أن تتسلل إلى أرواحهم ونفوسهم، تمامًا بقدر اهتمامه بتوفير حاجاتهم الأساسية من سكن وتعليم ومأكل.

ولعل السؤال هنا؛ إذا كان بالإمكان توفير حاجات العائلة في الدنيا، فهل يمكن ضمان توفير الشيء ذاته في الآخرة؟

الجواب: نعم. بإمكان المرء أن يسعى ويجتهد من أجل تحقيق السلامة الروحية لعائلته في الدنيا تمهيدًا لضمان وتأمين مستقبلهم في الآخرة. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ فمضمون الآية الكريمة يشير إلى أن الأمر لا يقف عند حدود الإنسان نفسه ليقيها من النار، وإنما هناك طرف آخر ينبغي الاهتمام به وهي العائلة. إن على المرء أن يفكر مليًّا في وقاية أهله من النار، تلك النار التي وصفها جبّار السموات والأرض بأن ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.

وسائل التربية والتوجيه

ولتلمس سبل القيام بالوقاية الروحية والمعنوية للأبناء، ينبغي لربّ الأسرة الاهتمام بثلاثة أساليب ضمن تربيته لأولاده، وهي التعليم المباشر، والتوجيه المستمر، وتمثل دور القدوة الحسنة.

الأول: التعليم

إن أغلب مشاكل الإنسان ناتجة من جهله، فإذا بلغه العلم، وتشرّب

بالمعرفة، تجنب كثيرًا من الشرور.

لذلك جاءت النصوص تأمر الإنسان أن يصرف جهدًا في تعليم أفراد أسرته المعارف التي تنفعهم، والحقائق التي تمكنهم من تجاوز المفاسد والأخطاء. ورد عن الإمام علي عليه السلام: «علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم»[1].

فالمعرفة أمر في غاية الأهمية لمساعدة الإنسان على الكمال والرقي وتجنب الفساد.

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام ما يؤكد ضرورة مبادرة الإنسان إلى تحصين أفكار أبنائه قبل أن يطالهم تشويش الأفكار المنحرفة، يقول عليه السلام: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة»[2]، والمرجئة فئة منحرفة فكرياً انتشرت في فترة تاريخية معينة.

إن عصرنا الراهن مليء بالتيارات المنحرفة فكريًا وعقديًا، لذلك ينبغي أن نحصّن ونحذّر أبناءنا من خطر الوقوع فيها.

ولعل قائلًا يقول: إن أمر التعليم غير ميسور بالنسبة إليه شخصيًا، نقول: إن هذا ليس عذرًا كافيًا، فقد بات بالإمكان إيصال الأبناء إلى منابع الوعي وسبل الهداية أينما كانت، فتوفير العلم اليوم أصبح ميسورًا بسبب تطور الوسائل التعليمية.

الثاني: التوجيه

قد لا تكون المعرفة وحدها كافية لدفع الإنسان نحو الخير، ما لم

(١) كنز العمال، ج ٢، ص ٥٣٩.
(٢) الكافي، ج ٦، ص ٤٧.

يصاحبها التوجيه المستمر والتذكير الدائم. فهناك موانع كثيرة قد تحول دون التزام المرء، وتجره نحو الركون إلى الباطل والخطأ، مثل الغفلة، والاستجابة إلى ضغط الأهواء والشهوات. وقد يقع أحدهم في الخطأ وهو عالم بأن ذلك خطأ لا ينبغي الوقوع فيه، بسبب الاستسلام للشهوات، من هنا جاءت أهمية وضرورة التذكير.

على الآباء أن يوفّروا سبل التوجيه لأفراد العائلة، وعدم الاكتفاء بالعلم فقط. ورد في هذا السياق عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قلت: هذه نفسي أقيها، فكيف أقي أهلي؟ فقال عليه السلام: «تأمرهم بما أمرهم الله به، وتنهاهم عما نهاهم الله عنه، فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك»[1]، وقال عليه السلام: لما نزلت هذه الآية جلس رجل من المسلمين يبكي وقال: أنا قد عجزت عن نفسي كُلّفت أهلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك»[2].

إن من المؤسف أن يسأم بعض الناس من تذكير أهلهم بالخير. فالتوجيه والتذكير بالخير لا أمد له، بل ينبغي أن يكون مستمرًا وبأساليب متنوعة، فإذا كان ابنك لا يصلي الجماعة مثلًا فلا تسأم من تذكيره عبر قصة، أو آية أو حديث، أو فكرة تحببه إلى حضور صلاة الجماعة والمشاركة في الأنشطة الدينية.

إن زرع بذرة الخير في نفوس الأبناء عملية دائمة، تبدأ من الصغر ولا

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٦، ص ١٧٩.
(٢) بحار الأنوار. ج٩٧، ص٩٢.

تنتهي عند الكبر، ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «مُر الصبي فليتصدق بيده بالكسرة والقبضة والشيء»[1] فعندما يعطي الأب ابنه الصغير مبلغًا من المال، ويطلب منه أن يعطيه الفقير، سيكون لهذا التصرف أثر كبير في نفسه، فيتعلم من خلاله البذل والعطاء والاهتمام بمعاناة الفقراء. من هنا نبعت الحاجة إلى توجيه وتذكير الأبناء على نحو دائم دون الاكتفاء بتوفير المعرفة والعلم فحسب، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الثالث: القدوة

ينبغي للمرء أن يكون قدوة لأفراد عائلته في فعل الخير، ليكون لمواعظه عند ذلك الأثر البالغ في نفوس أبنائه. قد يتخفى بعض الآباء عن أنظار أبنائهم ويفعلون ما يشاؤون، في حين يحرصون على الظهور أمام أسرهم بمظهر الصلاح، حتى لا تنخدش صورته في أذهان عائلته، وحتى لا يتأثرون بسيرته السيئة. إن مثل هذا الأب غير الملتزم لن يكون لمواعظه على الأغلب أي أثر في أبنائه، فهو ليس قدوة صالحة أمامهم، كما أن موعظته ليست نابعة من أعماق القلب، لذلك لن يعدوا تأثيرها أطراف آذانهم. قال الإمام الصادق عليه السلام في رواية أنه لما نزلت الآية الكريمة: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قال الناس: كيف نقي أنفسنا وأهلينا؟ قال: اعملوا الخير، وذكروا به أهليكم، وأدبوهم على طاعة الله[2]. وفي ذلك إشارة واضحة من الإمام إلى أهمية التطبيق العملي أمام الأبناء.

(١) وسائل الشيعة، ج ١، ص ١١٥.
(٢) مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ٢٠١.

إشراك الأطفال في عالم الكبار

حينما نقرأ سيرة رسول الله ﷺ، نجد فيما نقله التاريخ وأوردته كتب الحديث من مصادر المسلمين سنة وشيعة، أن هناك علاقة كبيرة مميزة بين رسول الله ﷺ وبين سبطيه الحسنين عليهما السلام. هذه العلاقة نقرؤها في بعدين:

البعد الأول: إغداق رسول الله ﷺ المحبة والعطف على سبطيه.

حيث كان ﷺ يكثر من ذلك ويظهره أمام الأمة، ولم يكن مجرّد تصرف داخل بيته فقط، كما نجده عند كثير من الآباء والأمهات. فكثير من الآباء لا يظهرون مشاعرهم وعطفهم على أولادهم خارج البيت، بل على العكس، قد يبالغ بعض الناس في إبراز علاقة الفتور مع عائلته أمام الناس وكأنه من المعيب أن يتعامل بالشفقة والعطف مع أبنائه أمام الناس! رسول الله ﷺ على العكس من ذلك، كان يغدق الحنان والعطف على سبطيه داخل البيت وخارجه، بل ربما كان يبرز ذلك خارج البيت أكثر، وفي ذلك رسالة مزدوجة:

- الشق الأول منها، أن إغداق العطف والحنان على الأبناء والأطفال

لا يشكل خفة في الشخصية أو ابتذالًا، بل يبرز الحالة الوجدانية للأب والأم على الأبناء، وقد أراد رسول الله ﷺ بهذه الطريقة أن يوحي إلى المسلمين أن أغدقوا العطف والحنان على أبنائكم أمام الناس؛ لأن ذلك يُعزّز شخصية الطفل، ويزيده ثقة بنفسه، لشعوره أنه مورد اهتمام واحترام، بخلاف زجره أمام الناس، الأمر الذي لا يراعيه كثير من الآباء، حيث يشعر الابن بزجره أمام الناس بالدونية، ويزرع في نفسه عقدة الحقارة، ويشعره بالامتهان.

- أما الشق الثاني، فهو توجيه الأمة لحبّ وتقدير أهل بيته وتبيين مكانتهم وفضلهم. عن ابن عباس قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسن على عاتقه فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي ﷺ: ونعم الراكب هو»[1].

البعد الثاني: إشراك الأبناء في الشأن العام.

كان رسول الله ﷺ حريصًا على إبراز سبطيه الصغيرين في السنّ للأمة، كما حدث في إحضاره لهما في قضية المباهلة، وقبوله البيعة منهما، وما ورد في السيرة أنه سجل شهادتيهما على كتاب المعاهدة بينه وبين قبيلة ثقيف، وإحضاره لهما في الجوّ العام للأمة، الذي استفاضت به الروايات، كما نقل أن الإمام الحسن بن علي عليه السلام كان يحضر مجلس رسول الله ﷺ وهو ابن سبع سنين، فيسمع الوحي ويحفظه، فيأتي أمه فاطمة الزهراء عليها السلام فيلقي إليها ما حفظه، وكلما دخل علي عليه السلام عليها وجد

(١) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٢، ص١٢.

عندها علمًا بالتنزيل فيسألها عن ذلك فتقول: من ولدك الحسن.

كان رسول الله ﷺ يهتم بإحضار سبطيه الصغيرين إلى المسجد. روى أبو بكرة قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: إن ابني هذا سيد ولعلّ الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[1]. وروى عبدالله بن عبدالرحمن بن الزبير قال: أحدثكم بأشبه أهله به وأحبّهم إليه الحسن بن علي رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل[2].

العلاقة بين جيل الكبار وجيل الصغار

نريد أن نتأمّل في هذه المواقف وندرسها من الناحية التربوية، ذلك ان إحضار رسول الله ﷺ لسبطيه في المسجد وإشراكهما في الشأن العام رغم صغر سنّهما، يلامس جانب العلاقة بين جيل الكبار وجيل الصغار. حيث كنا نشهد في الماضي شيئًا من التداخل بين الجيلين، فكان الصغار غير بعيدين عن أجواء الكبار، لكن الأمر الآن يبدو غير ذلك، فما هي الأسباب والآثار؟

من المعروف أن الصغار بحكم سنهم تنحصر اهتماماتهم باللعب واللهو، وهذا حقّ طبيعي، من حقّ الطفل أن يلعب، بل ينبغي للعائلة أن تتيح له ذلك، فهذا يصقل شخصيته وينمّي قدراته، ولهذا ورد عن رسول

(١) صحيح البخاري. ج٣، ص١٧٠.
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة. ج٢، ص٦٢.

الله ﷺ أنه قال: «من كان له صبي فليتصاب له»[1]، بينما جيل الكبار يكون مشغولًا باهتمامات الحياة ولديه خبرة وتجربة.

من هنا فإن انفتاح جيل الصغار على جيل الكبار له فائدتان:

الأولى: لكي يعرف الأطفال أن اللعب ليس هو كل شيء في الحياة، ويعلموا أن هناك اهتمامات أخرى.

الثانية: أن يتعرفوا على اهتمامات الحياة من خلال معايشتهم وقربهم لجيل الكبار.

نحن نعيش الآن مشكلة الفصل التام تقريباً بين الجيلين. قلّ أن يكون هناك حضور للأطفال في أجواء ومجالس الكبار، وفي هذا خطأ تربوي كبير. فلماذا حصلت هذه الحالة؟

من الأسباب الرئيسة توفر وسائل اللهو واللعب بشكل مكثف للأطفال وفي كل الأوقات. وكذلك انشغال الكبار عن الصغار، أو عدم تحمل الكبار لطبيعة الصغار. تصرفات الصغار فيها نوع من الإزعاج للكبار، ويحتاج صرف وقت وجهد من قبل الكبار لاحتواء هؤلاء الصغار. والمشكلة أن الغالب لا يتحمل هذا الدور، وهذا ما يسبب التباعد. كثير من الآباء عند استقباله للضيوف يعزل نفسه عن أبنائه خشية أن يسببوا له إزعاجًا وحرجًا لضيوفه، وهذا خطأ. صحيح أن من حق الصغار أن يلعبوا مع بعضهم، ولكن ليس بالشكل الذي يفصلهم عن مجالسنا فنحرمهم مما ينفعهم. ولو تذكر كل واحد منا حضوره في مجالس الكبار فسوف

(١) كنز العمال، ج١٦، ص٤٥٧، حديث ٤٥٤١٣.

يجد أن هناك انطباعات وخبرات أخذها من تلك المجالس.

وجود الصغار في مجالس الكبار ينفع في تعزيز القيم المفيدة، ونقل الخبرات والتجارب، بخلاف الفصل الذي نراه حاليًا ففيه الكثير من الثغرات والنواقص التربوية.

حضور الأطفال في المساجد

من هنا ينبغي أن يهتم الكبار بإحضار أبنائهم في المجالس العامة. فوجود الطفل في أماكن اجتماع الناس ينمي شخصيته سيما في المحافل والمسجد، لكننا إذا تصفحنا المساجد فقلما نجد أطفالًا بصحبة آبائهم! كثير من الآباء يتعذر بخشيته أن يكون أبناؤه مصدر إزعاج للمصلين، أو يقوموا بتصرفات لا تليق بقدسية المسجد. وهذا خلاف ما نجده في السنة النبوية، إذ كان رسول الله ﷺ يصلي ويسمع بكاء طفل فيختصر في صلاته.

هناك رواية تشير إلى كراهية تمكين الأطفال في المساجد. باعتبار أن المسجد للعبادة ولا يصلح للصغار، لكن بعض العلماء التفتوا إلى أن الرواية ضعيفة من جهة، ومن جهة ثانية أن المراد بالأطفال هم الذين لا يتحفظون في النجاسة. ولهذا يعلق السيد الشيرازي في موسوعته الفقهية على هذه المسألة قائلاً: «والظاهر أن المراد الأطفال الذين هم مظنة التنجيس والأذية ونحوهما، لا الأطفال للصلاة، فقد صح دخول الحسن والحسين عليهما السلام وأمامة وغيرهم مسجد رسول الله ﷺ وعناية الرسول ﷺ بهم، بل الإطلاقات منصرفة عن ذلك»[1]. ويعلق السيد السيستاني على

(١) السيد محمد الحسيني الشيرازي. الفقه، كتاب الصلاة، ج١٩، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، (بيروت: دار العلوم للتحقيق والنشر)، ص٢٨٥.

هذه المسألة في العروة الوثقى بقوله: إذا لم يؤمن تنجيسهم المسجد، وإزعاجهم فيه، وإلا فلا بأس به ولربما يكون راجحًا[1].

من هنا ينبغي إحضار الأبناء في الأماكن العامة، وعلى جيل الكبار أن يبذلوا جهدًا لذلك. والخطاب غير مقتصر على الرجال فحسب، بل على الأمهات أن يتحملن هذا الدور أيضًا، فقد بدأت حالة الفصل بين الجيلين تبدو واضحة عندهن. ولا يخفى أن وجود الأطفال مع بعضهم دائماً قد ينمي عندهم بعض السلبيات لجهلهم وعدم وجود موجه لهم.

هذا ما ينبغي أن نستفيده من علاقة رسول الله ﷺ بالحسنين عليهما السلام وإحضاره لهما في الشأن العام، وأن نأخذ درسًا في صحبة الأولاد ليستفيدوا من الخبرة والتجربة، وينفتحوا على اهتمامات أخرى غير تلك التي يعيشونها بحكم طفولتهم.

(١) العروة الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدي مع تعليقة السيد علي السيستاني. ج٢، كتاب الصلاة هامش ص٨٨. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، (قم: مكتب آية الله السيد علي السيستاني).

الفصل الثاني

مشكلات وتحديات

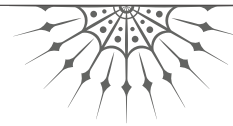

التربية الصالحة واحتمالات التمرّد

يدعو الدين أبناءه والمنتمين إليه إلى أن يكونوا دعاةً ومؤثرين في من حولهم، فلا يكفي أن يكون الإنسان مؤمناً صالحاً وإنما عليه أن يدعو الآخرين إلى الإيمان والصلاح، ويسعى لهدايتهم وإرشادهم، فذلك جزء من إيمانه وصلاحه.

وأقرباء الإنسان وأسرته هم الدائرة الأولى، التي يجب أن يسعى للتأثير عليها، وهدايتها، قبل الآخرين، لذلك فإن الله سبحانه وتعالى حينما أمر نبيه محمداً ﷺ أن يبدأ بدعوة الناس وإنذارهم، أمره أن يبدأ بعشيرته قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، والله تعالى يأمر الإنسان المؤمن بأن يدعو أهله إلى الصلاح وإلى الخير: يقول تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، ويقول تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾.

وتأتي التربية الحسنة في الدرجة الأولى من الأمور التي ينبغي للإنسان أن يسعى بكل جهده إلى تحقيقها في القريبين منه، كما ينبغي أن يكون قدوة فيما يدعو إليه. ورغم ضرورة وأهمية هذا الأمر إلا أن الدين

يأخذ الواقع بعين الاعتبار، فقد يبذل الإنسان كل جهوده للتأثير على من حوله، إلا أنه ليس حتمياً أن يؤثر فيهم.

من جانب آخر، فإن استخدام الأب لأفضل الأساليب التربوية يكون له أبلغ الأثر، لما يُمثله الأب من أثر كبيرٍ على أبنائه، وللاستعداد النفسي لدى الطفل في تقبل التوجيه، وهنا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ»[1].

فإذا بدأ الأب مع أبنائه منذ صغرهم، واهتم بتربيتهم، وتنشئتهم على الخير والصلاح، فإن مهمته ستكون أقرب إلى النجاح.

ولا يخفى الأثر الكبير للبيئة المحيطة، فحين ينفتح الولد على البيئة من حوله، وخاصة في هذا العصر، حيث وسائل الإعلام والاتصالات، ووجود الثلل، أي مجموعات الأصدقاء، فإن قدرة الأب على السيطرة على أولاده تنخفض تدريجياً.

حتى لو أبقاهم في البيت، فإن وسائل الإعلام والاتصال قد غزتنا إلى غرف نومنا، فالتلفون النقّال الآن أصبح نافذة مفتوحة على العالم كله.

حدود المسؤولية التربوية

إذاً ماذا يصنع الإنسان؟

على الإنسان أن يبذل جهده، وأن يسعى بالمقدار الممكن لتوجيه أولاده والمحيط من حوله لطريق الخير، وليس مطلوبًا منه أن يكون حتمي التأثير، فذلك أمرٌ قد لا يتحقق، والله تعالى لا يكلف الإنسان بما

(١) الشريف الرضي. نهج البلاغة، الطبعة الأولى١٣٨٧هـ، (بيروت: دار الكتاب اللبناني)، من وصية له عليه السلام لابنه الحسن بن علي، كتاب ٣١.

لا يستطيع: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

ومن أجل إيضاح هذه الفكرة، فإن القرآن الكريم يحدثنا عن عوائل الأنبياء، فرغم الجهود التي يبذلونها الأنبياء، إلا أن أقرب المقربين إليهم قد لا يستجيبون لدعوتهم، القرآن الكريم يتحدث عن زوجتي نبي الله نوح عليه السلام ونبي الله لوط عليه السلام، فيقول تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾[سورة التحريم، الآية:١٠].

وهنا يتساءل البعض: هل يعني ذلك أن النبي كان مقصّراً؟ بكل تأكيد كلا، فالمطلوب من النبي الاجتهاد في التبليغ، وليس مطلوبًا منه أن يكون حتمي التأثير على من حوله.

ويُقدّم لنا القرآن نموذجاً آخر يحكي قصة ابن نبي الله نوح، الذي تمرّد على دعوة أبيه، ولم يتمكن نبي الله نوح من التأثير عليه؛ فكان ممن غرقوا في الطوفان، فقد عمّ الغرق والعذاب قوم نوح الذين رفضوا الاستجابة له بعد سنين طويلة متمادية، فعاقبهم الله بهذا العذاب الأليم. والآيات الكريمة تحكي تفاصيل ما حدث بإيجازٍ بليغ.، يقول تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [سورة القمر، الآيتان: ١١-١٢]

نبي الله نوح كان يقود سفينة الخلاص والنجاة، لكن ابنه رفض أن يركب فيها، فكان من المغرقين.

ورغم الجهود التي بذلها نبي الله نوح عليه السلام لإقناع ابنه للالتحاق بهم، إلا أن جهوده لم تنجح، وحين بدأت علامات نزول العذاب لم ييأس نبي الله نوح عليه السلام من توجيه الوعظ لابنه، حتى حال بينهما الموج فكان من المغرقين.

حينما يأتي القرآن بهذه القصة فذلك من أجل أن يعطينا عبرة، الأب يجب أن يبذل جهده، إلا أن تأثيره ليس حتمياً بالضرورة.

ونقرأ في سيرة الأئمة الأطهار ما يُشبه ذلك، فبعض أولاد الأئمة وبعض زوجاتهم لم يكونوا مستجيبين لتوجيههم وهدايتهم، ومنهم عبد الله الأفطح ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، الذي كان مخالفاً لأبيه؛ فضلاً عن جعدة زوجة الإمام الحسن التي دست إليه السم فقضت على حياته.

وخلاصة القول: حين يقوم الأب بدوره على أكمل وجه في توجيه عائلته والقريبين منه، فإن تأثيره ليس حتمياً بالضرورة.

وهذا الأمر يجعلنا نتأمل كثيراً في واقع الناس، فحين نجد أن ابناً شقياً يمارس الإجرام، فليس معنى ذلك أن عائلته قصّرت في توجيهه، رغم احتمالية ذلك. لذا يأتي التأكيد القرآني على هذه الحقيقة، يقول تعالى: ﴿لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾.

وهذا لا يعني أن الإنسان معذورٌ حين يكون مقصّراً، بل ينبغي أن يكون ذلك دافعاً لأن يسعى الإنسان بكل ما يمتلك من جهد وطاقة في سبيل تحقيق الأجواء الصالحة لأبنائه، ليكون طريقهم في الحياة نحو الصلاح والإيمان. وحين يستعصي الأمر، فإن ذلك يؤكد ضرورة تضافر جهود الآباء في صنع بيئة صالحة لأولادهم.

وفي الوقت الذي نشهد فيه الحوادث الإجرامية المرعبة، فإن حصول مثل هذه الأمور، وهي ليست خافية، يُحمّل الآباء المسؤولية بمقدار جهدهم، لصناعة بيئة صالحة سليمة، وحين لا يتحقق ذلك فإن المستقبل ينذر بالكثير من المخاطر.

خطر الغفلة عن رعاية الأبناء

تمثل الغفلة مشكلة حقيقية على مختلف الصُّعد، إلّا أنها تلامس حدّ الخطر عندما تطال مجال رعاية الأبناء. وقد جاء في تعريف الغفلة أنّها غيبة الشيء عن بال الإنسان، وعدم تذكره له، فليس بالضرورة أن يكون الإنسان جاهلًا بالشيء وإنما هو عارف به خير المعرفة، إلّا أنه قد يكون غائبًا عن باله، فلا يعود يتذكره، وتبعًا لذلك لا يعود الاهتمام به قائمًا، ولا يستطيع التعامل معه على النحو المناسب، مع علمه المسبق بأهميته، هذه هي الغفلة التي لا ينبغي أن يسمح الإنسان بأن تستولي عليه.

لا يجادل أحدٌ في أهمية إيلاء تربية وإصلاح الأبناء الاهتمام الأقصى، غير أنّ كثيرين ربما يغفلون عن هذا الأمر المهم. ولو استعرضنا حياة الفرد العادي لوجدنا اهتمامه متركّزًا قبل مرحلة الزواج على ذاته، غير أنّ ذلك ينبغي أن يتغيّر بعد أن يتزوج ويرزق بالأبناء، لتأخذ رعايتهم الأولوية القصوى عنده، منذ ولادتهم، وحتى يكبروا ويشقّوا طريقهم في الحياة، وليس هناك من شيءٍ يستحقّ أن يقدّمه الآباء على هذه الأولوية.

ومهما بلغت مكاسب الآباء في هذه الحياة، فإنها ستغدو بلا قيمة إذا

ما قابلها فشل في تربية الأبناء، حتى صاروا فاشلين ومنحرفين، عندها لن يعوّض الأبوين كلّ متع العالم عن هذه الخسارة، وهما يريان أولادهما على حال بائسة، بل ستتحول حياتهما إلى معاناة وجحيم لا يطاق، خاصة على صعيد المشاعر والأحاسيس.

لقد ساهمت ظروف الحياة الحديثة في بعث اهتمامات كثيرة عند الآباء والأمهات، على حساب رعاية الأبناء. وقياسًا على الأزمان السابقة، التي كانت فيها الانشغالات قليلة، بات الآباء أقلّ اهتمامًا بتربية الأبناء في عصرنا الراهن، المليء بالانشغالات التي لا تكاد تنتهي. كذلك الحال مع المحيط الاجتماعي، الذي كان عنصرًا مساعدًا في تربية الأبناء سابقًا، وبات اليوم عنصرًا معاكسًا يلعب دورًا غير بنّاء في تربية الأبناء، سيّما في ظلّ الحياة الصاخبة، والتدفق المتسارع لوسائل الإعلام والاتصالات. واللافت أنه في الوقت الذي باتت تربية الأبناء تتطلب اهتمامًا أكبر، يتجاوز بكثير ما كان يوليه الآباء في مرحلة زمنية سابقة، نجد آباء اليوم وقد انصرفوا نحو اهتمامات تجعلهم في غفلة عن رعاية أبنائهم.

أسباب الغفلة

ما هي يا ترى أسباب الغفلة التي تنتاب البعض حيال الأمور المهمة في حياتهم؟ إنّ سبب ذلك هو غياب الإدراك الملائم لأهمية تلك الأمور، ذلك أنّ هناك تناسبًا بين حضور الأمر في ذهن الإنسان، وإدراكه لأهميته، فبمقدار الاهتمام يكون الحضور في الذهن نشطًا.

ومن الأسباب الرئيسة للغفلة أيضًا، الانشغال عن الأكثر أهمية بما هو أدنى أهمية، كمن يجهد نفسه في الحصول على مقعد على الطائرة، ثم

ينشغل بأشياء جانبية حتى تضيع عليه الرحلة التي استمات في اللحاق بها. من هنا نفهم سبب اهتمام برامج الإدارة الحديثة بترتيب جداول الأعمال، وحفظ المواعيد، عبر مختلف الوسائل، والغرض من ذلك تذكير الإنسان بالأولويات، حتى لا يتشتّت انتباهه بأشياء أخرى.

في العُطل انتبه لأبنائك

إنّ رعاية الأبناء لا بُدّ وأن تكون عملية دائمة مستمرة ما دام الأبناء لم يبلغوا سنّ الرشد. ولطالما قرأنا عن أناس يعربون عن الأسف لضياع أبنائهم نتيجة الغفلة عن رعايتهم لفترة معينة، بسبب ظروف طارئة ألمت بهم، أو انشغال أخذهم بعيدًا عن بيوتهم وأبنائهم، وما عسى يجدي الأسف بعد أن يسقط الأبناء في الهاوية. لذلك ينبغي ألّا يغفل الإنسان ولو لوقت قصير عن رعاية الأبناء والاهتمام بهم.

كما تتضاعف الحاجة إلى رعاية الأبناء خلال العطل المدرسية على وجه التحديد، سواء كانت أيامًا أو أسابيع، وذلك بالنظر إلى حالة الفراغ التي يعيشها الأولاد والبنات، فإذا لم يجرِ التوجّه نحو إغداق المزيد من العاطفة عليهم، وملء أوقات فراغهم بالبرامج المفيدة، فلربما حدث التحوّل السيئ في حياتهم خلال فترة أقصر مما يتخيّل الأبوان. وهذا ما تفيده التقارير السنوية التي تتناول تزايد قوائم المجرمين والمنحرفين في الفترات التي تعقب العطل الصيفية.

من هنا ينبغي أن يكون الإنسان دائم اليقظة، وأن يحذر الغفلة عن رعاية الأبناء. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال:

«مَنْ عَرَفَ الأَيَّامِ لَمْ يَغْفُلْ عَنِ الاسْتِعْدَادِ»[1]، ذلك أنّ من يدرك طبيعة الأوضاع في زمانه، ينبغي أن يضعها بعين الاعتبار في تعامله مع الأمور، وبالأخصّ فيما يتعلق بموضوع رعاية الأبناء والاهتمام بهم. فليس من المفهوم أن يترك ربّ العائلة زوجته وأطفاله خلف ظهره، ويسافر خارج البلاد طلبًا للراحة، ومن غير المفهوم أيضًا أن يترك بعض الآباء زوجته وأبناءه يسافرون بمفردهم فيما يتخلف هو عنهم دون مبرر مقبول، فمن يا ترى سيتولى رعايتهم والاهتمام بهم هناك، سيّما في ظلّ المحاذير الكثيرة المحيطة. وهذا ما يتطلب من الآباء البقاء قريبًا من أبنائهم، وألّا يتركوهم بعيدًا عن أعينهم مع التزام الأساليب المناسبة.

تأثير الأصدقاء على الأبناء

ولعلّ أحد أكثر الأخطار الناتجة لحالة الغفلة عند الأبوين، هي انزلاق الأبناء نحو الشلل الإجرامية المنحرفة. سواء كان ذلك من خلال الانخراط في صداقات مباشرة في المجتمع، أو عبر الدخول في علاقات غامضة مع مجهولين في العالم الافتراضي، عبر شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وهذا ما يمكن أن يقود إلى عواقب وخيمة، تطال أخلاق واستقامة الأبناء.

ونظرة عابرة لأحدث التقارير عن انتشار المخدرات في المملكة تكفي للحذر على الأبناء، هذه الآفة المهلكة التي ما ابتلي بها شابّ إلّا قضت على مستقبله إن لم تقضِ على حياته، حيث تفيد التقارير بأنّ

(١) نهج البلاغة، خطبة الإمام عليّ عليه السلام المعروفة بالوسيلة.

الجهات الأمنية في المملكة ألقت القبض خلال الستة أشهر الأولى من عام ١٤٣٩هـ على ١٦٢٨ متّهمًا بتهريب وترويج المخدِّرات، بينهم ٦٠٤ سعوديًّا فيما بلغ عدد الأجانب ١٠٢٤ ينتمون إلى ٤١ جنسية.

وقد بلغت قيمة المخدِّرات المضبوطة في حوزة المتهمين نحو مليارين وثلاثة وتسعين مليون ريال. هذا ما يتعلق بالكميات المضبوطة فقط بحسب الجهات الرسمية، فما بالك بالكميات التي نجحت في العبور لأسواق وشوارع المملكة، وليس خافيًا أن بلادنا والدول الخليجية تُعَدّ من الأسواق المغرية لتجار المخدِّرات، لذلك ينبغي أن نكون يقظين لما يجري حولنا، وأن نفتح أعيننا على رعاية أبنائنا.

إنّ النصوص الدينية تشدّد على دوام الانتباه واليقظة، والنأي عن الغفلة في كلّ الأمور. فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ضادّوا الغفلة باليقظة»، وفي ذلك دعوة صريحة لبقاء الإنسان متيقّظًا ومنتبهًا غير غافل عن الأمور المهمة في حياته، وألّا يتلهّى بالأمور الأقلّ أهمية على حساب الأهمّ، سواء في أمر دنياه أم آخرته. وقد تناولت آيات كثيرة في القرآن الكريم موضوع الغفلة، إلى درجة شبّه سبحانه وتعالى الغافلين عن أمور دنياهم وآخرتهم بأنهم كالأنعام، قال تعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[سورة الأعراف، الآية: ١٧٩]، إنّ الغافلين أسوأ من الأنعام الغارقة في حالة الاسترسال، وغياب الأولويات في حياتها؛ لأنّها لا عقل لها يدفعها لليقظة وجدولة الاهتمامات.

ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾[سورة يونس، الآية: ٧]،

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥]، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «احذروا الغفلة فإنّها من فساد الحسّ»[١]، ذلك أن الغفلة تكاد تكون معادلًا موضوعيًّا لحالة فساد الحسّ، وضعف الشعور بالمسؤولية، وغياب الوعي بالحياة.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٩٢، حكمة ٤٤.

الأم وإنجاح دورها في التربية

حين يتحدث القرآن الكريم عن فضل الوالدين ومدى الجهود التي يبذلانها في تنشئة الإنسان وتربيته، فإنه يستعرض بالتحديد معاناة الأم. يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾، ثم يركّز تعالى الحديث عن الأم: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ﴾، يُبيّن هنا معاناة الأم في فترة الحمل التي تقاسي فيها الألم على الألم، والضعف على الضعف، ويستمر العناء معها بعد الولادة، حيث تتحمل عناء الإرضاع والحضانة والتنشئة. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾، الحديث هنا أيضًا عن فضل الوالدين، لكن التأكيد والتركيز على معاناة الأم، رغم أن سياق الآية يتحدث عن الوالدين وما يتوجب على الولد تجاههما.

إن الجهد الذي تبذله الأم لأجل أبنائها أكثر بكثير مما يبذله الأب، وهذا واضح وجدانًا للعيان. فالأم تعاني كثيرًا في فترة الحمل، وأثناء الولادة، وفترة الإرضاع والحضانة والتنشئة. فدورها مهم وأساس لتنمية الطفل، وهو دور موكل لها من الله تعالى، حيث أودع في نفسها برمجة

غريزية وقدرة فائقة على بذل العطف والحنان للوليد وتحمله في مختلف مراحله، وهذا ما لا يتوفر عند الآباء غالبًا. هذه العلاقة المميزة بين الأم وبين الوليد تجعل قدرة الأم في التأثير على الوليد في السنوات الأولى من حياته أعظم من قدرة الأب. لأن الوليد جزء منها، نشأ في أحشائها، وتغذّى من دمها، ويرتضع من لبنها، ويعيش في أحضانها، هذه العلاقة العضوية والغريزية تجعل الولد أكثر التصاقًا بأمه، وتجعل الأم أكثر تأثيرًا على الولد.

هذا الدور الذي يكشف عن معاناة الأم وفضلها، يكشف في الوقت نفسه عن عظيم مسؤوليتها في إعداد شخصية الطفل. حيث يؤكد خبراء التربية أن المراحل الأولى من حياة الإنسان هي السنوات التأسيسية لشخصيته؛ لأن مشاعره وتوجّهاته وسماته النفسية، كلها تتشكل في تلك الفترة التي يكون فيها ملتصقًا بأمه، والذي يكون تأثير الأم عليه أكبر من أيّ شيء آخر. لذلك فإن الأم تتحمّل مسؤولية كبيرة، وإن كانت الحضانة حقًّا للأم وليس واجبًا عليها، حيث إنّ الشرع والقانون يلقيان الواجب على عاتق الأب، بعد ولادة الطفل، ولو أرادت الأم أجرة على الرضاع أو الحضانة يحقّ لها ذلك. وعلى الأم حينما تقوم بهذا الدور أن تعرف أنها مسؤولة أمام الله عن إتقانها لهذا الدور، من الإعداد الصالح والتربية الحسنة للولد باعتبارها ألصق الناس به، وأكثرهم تأثيرًا عليه.

وعي الأم بدورها الخطير

في السابق كانت الأم تتمحض لتربية أبنائها، فليس هناك ما يشغلها عنهم. أما في هذا العصر، فإن بعض الصوارف والانشغالات أصبحت

تزاحم الأم في تربية أبنائها، كالعمل، ووسائل الترفيه كالتلفاز، والإنترنت، والرغبات المتنوعة، لهذا يجب أن تتذكر أهمية الدور الذي أنيط بها من الناحية الوجدانية والعرفية. الأم هي المصنع الذي ينتج الأبناء، وهي المدرسة التي تربّيهم وتعدّهم. إنّ أيّ مكسب من المكاسب لا يمكن أن يوازي نجاح الأم في تربية أبنائها. والأم التي تعمل من أجل كسب المال أو تصرف وقتًا لاهتمامات أخرى، إذا قصّرت في تربية أبنائها وأصبحوا فاشلين في حياتهم فإنها هي أول من سيدفع ضريبة فشلهم؛ لأنها ستعيش الألم والتمزق النفسي، والعناء في حياتها معهم. ربما تغريها بعض الصوارف والاهتمامات المختلفة، لكنها في الغد حينما تفتح عينيها على أولاد فاشلين، منحرفين ـ لا سمح الله ـ حينها ستدرك كم أساءت لنفسها ومستقبلها.

على المرأة التي تريد أن تشارك في مختلف جوانب الحياة ـ وهذا بلا شك من حقّها ـ أن تعطي من وقتها أكبر ما يمكن لتربية أبنائها. فكلّ الأدوار يمكن للآخرين أن يقوموا بها، لكن دور الأم في تربية أولادها لا ينافسها فيه أحد، سيما تربية الصغار الذين هم بأمسّ الحاجة للعطف والحنان والمتابعة.

الأم لها قدرة على التحمل والصبر قد لا يمتلكها الرجل. فهي أولى بمتابعة الأبناء في مرحلة الطفولة، ولهذا تختار بعض الدول لتعليم المرحلة الابتدائية العنصر النسوي وليس الذكوري. وفي مجتمعاتنا قبل وجود المدارس الحكومية، كان من يدرس الأولاد في الكتاتيب نساء غالبًا. وقد أثبتت التجربة أنّ المرأة أكثر نجاحًا وقدرة على التعليم في

المراحل الأولى.

الأب وتوفير الأجواء المناسبة للأم

إنّ ما تقوم به الأم من تنشئة الأبناء هو عمل عظيم لا يؤدّيه غيرها، فعلى الأب أن يوفر أفضل الأجواء المساعدة لها على القيام بدورها، ولو كان على حساب بعض حقوقه ورغباته، بل حتى لو كان هناك ما يضايق الرجل أو يكرهه في حياته الزوجية، فإن عليه أن يتحمّل ذلك من زوجته من أجل بقاء الزوجة وقيامها بدورها في تنشئة الأبناء، يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾[سورة النساء، الآية: ١٩]، قد يكره الزوج المرأة، وينوي الطلاق، لكن القرآن يذكّره بأنه ربما كان هناك ما يوجب التأني والصبر، ولعلّ من أبرز المصاديق اهتمام الأم بتنشئة الأولاد، وهذا بلا شك فيه خير كثير.

البيئة الاجتماعية لإنجاح الأمومة

مع تطور ظروف الحياة، وخروج المرأة إلى سوق العمل، يواجه دور الأمومة تحدّيات كبيرة، حيث يستهلك الكثير من جهد المرأة ووقتها خارج المنزل، على حساب اهتمامها بتربية الأبناء وتنشئتهم، وللحدّ من هذه المشكلة لا بُدّ وأن تراعي قوانين العمل ظروف الأمومة، وعلى الدولة أن توفر فرص العمل للأمهات في مناطق إقامتهنّ، حيث تعاني شريحة من المعلمات مثلًا في بلادنا تعيينهن في مناطق بعيدة ونائية، فتضطر المعلمة الأم للابتعاد عن أبنائها، أو أن تقطع مسافات التنقل يوميًّا في الذهاب والرجوع، ومن الأفضل إتاحة فرص العمل للأمهات

بنصف دوام لأربع ساعات بدلًا من الدوام الكامل، وكذلك فرص العمل من البيت الذي يتيحه تطور الأداء الإلكتروني.

إذا كان على الأم أن تضع تربية أولادها كأولوية نصب عينها، فعلى الزوج أن يكون لها عونًا وسندًا، كما أن على الدولة أن تضع الأنظمة والقوانين التي تساعد على توفير البيئة الصالحة لأداء دور الأمومة.

الأولاد ضحايا خلافات الوالدين

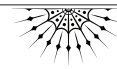

يحتاج الأولاد إلى كثير من الرعاية والاهتمام من قبل أبويهم لينشؤوا نشأة صالحة، ولا يغني أحد الوالدين عن الآخر، فالأب لا يغني عن الأم، والأم لا تغني عن الأب، فدور كل منهما هام وضروري من أجل تنشئة الأولاد تنشئة صالحة، وتربيتهم في أجواء سليمة، ذلك أن حاجات الأولاد لا تقتصر على الطعام والشراب واللباس فقط، وإنما يحتاجون في ذات الوقت إلى احتضانهم بالحنان، وغمرهم بالعاطفة، إلى جانب رفدهم بالتوجيه والتعليم والإرشاد، وتقديم الخبرات والتجارب حتى يشقوا طريقهم في هذه الحياة.

من هنا نشأت الحاجة إلى تعاون الأبوين في رعاية الأبناء. إن تعاون الوالدين في أمر التربية أمر مطلوب؛ لأن أي اختلاف بينهما في هذا الصدد، سينعكس سلبًا على تنشئة الأبناء سيما الصغار منهم. لهذا لم يغفل القرآن الكريم هذه الحقيقة، فالله تعالى جعل قرار فصال الطفل، أي فطمه عن حليب أمه، منوطًا بتوافق الوالدين، لا أحدهما، بقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾.

في ظل صراع الوالدين

لا شك أن حياة الأبناء وسط علاقة مضطربة بين الأبوين سيلقي بظلاله السلبية عليهم، بل سيكون حتمًا على حساب تنشئتهم التنشئة الصالحة. إن الاختلافات الصارخة بين الوالدين داخل أجواء العائلة وأمام مرأى الأبناء، يكون له انعكاسات سلبية على نفوسهم، لذلك ينبغي للوالدين الواعيين أن يجنبا أبناءهما أي مظاهر لاختلاف قد ينشأ بينهما؛ لأن ذلك سيخلق تمزقًا عاطفيًا في نفوس الأولاد، وسيخلّف جروحًا عميقة في مشاعرهم وأحاسيسهم، كما سينعكس على سلوكهم. في مقابل ذلك ستكون نفسية وسلوك الأبناء أقرب للاستقامة متى ما عاشوا في ظل علاقة هادئة وانسجام عائلي بين أبويهم.

ومن أسف نقول: إن بعض العائلات لا تدرك مدى انعكاس البيئة العائلية الهادئة على السلامة النفسية للأولاد، وقد تجهل أو تتجاهل الآثار السلبية التي تنعكس على نفوس أبنائهم جرّاء العلاقات المتوترة بين الأبوين.

إن من الواجب على كلا الأبوين أن يدفعا الأولاد لاحترامهما، حتى يكون الأولاد بارين بهما، فيجب على الأم أن تشجع الابن على احترام أبيه، وكذلك يشجع الأب ابنه على احترام أمه والبر بها. أما إذا عاش الأبناء في ظل صراع بين الوالدين، ورأوا أباهم يهين أمهم، أو أمهم تنال من شخصية أبيهم، فلنا أن نتصور ما ستكون عليه نفسياتهم، وكيف ستكون نظرتهم إلى أبويهم، وما تأثير هذه الحالة على سلوكهم؟!

حضانة الأبناء بعد الطلاق

ولعل أسوأ الحالات المؤثرة على الأبناء هي وقوع الطلاق بين الأبوين، فقرار الانفصال في هذه الحال لا يقتصر تأثيره على الزوجين وحدهما. بل سيؤثر حتمًا على الأبناء، خاصة إذا كانوا في مرحلة الطفولة، وفي أمسّ الحاجة للتنشئة والتربية. من هنا حثّ القرآن الكريم الآباء على التضحية وتقديم التنازل لأزواجهم، متى ما برزت هناك مشاكل جدية، قبل التفكير بالطلاق، يقول تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، فالله تعالى يحث الزوج على إبقاء زوجته من أجل أن ينشأ أولاده نشأة صحيحة ولا تتضرر نفسياتهم، ولعل هذا مصداق من مصاديق قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

كما نجد على المستوى الشرعي أن الحضانة تكون من نصيب الأم في السنتين الأوليتين، متى ما حصل الانفصال بين الأبوين، ولا يحق للأب عندها فصل الطفل عن أمه في هذه المرحلة ما لم تتزوج، بل يجب عليه علاوة على ذلك توفير احتياجات الأم في هذه الفترة حسب المتعارف، وحسب قدرته، يقول تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

هنا تجدر الإشارة إلى أن حضانة الأولاد بعد السنتين الأوليين من حياتهم هي مورد اختلاف بين الفقهاء، فالمشهور بين فقهاء الشيعة أن الأب أولى بابنه الذكر بعد هاتين السنتين، والأم أولى بالبنت إلى سبع سنوات، ثم تؤول إلى أبيها، فيما رأى بعض الفقهاء ومن ضمنهم السيد

السيستاني أن لا فرق بين الولد والبنت، حيث تؤول حضانتهما إلى الأب بعد السنتين، والأولى حسب رأي السيد السيستاني عدم فصل الولد عن أمه قبل سبع سنين ذكرًا كان أو أنثى.

ويرى فقهاء المذهب الحنبلي أن الحضانة تكون من حق الأم خلال السنوات السبع الأولى للذكر والأنثى على حد سواء، ثم يخير الذكر بين أبيه وأمه، أما الأنثى فتؤول رعايتها للأب بعد سن السابعة.

أما على المستوى التربوي والاجتماعي، فالمسألة أكثر تعقيدًا وتحتاج إلى الكثير من الاهتمام، فالوالدان يجب أن يعطيا الأولوية لمصلحة الولد، ولا يصح أن يكون الولد أداة ضغط يستخدمها الوالدان ضد بعضهما، يقول تعالى: ﴿لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾، فلا يصح للأم أن تضغط على الأب من خلال ابنه، كما لا يصح للأب أن يفصل الطفل عن أمه لمجرد الانتقام منها، وهو الأمر الأكثر شيوعًا في الآونة الأخيرة. إن هذا السلوك شديد التأثير سلبًا على نفوس الأبناء؛ لعدم قدرة الأب على إشباع حاجة الأولاد عاطفيًا كالأم، حيث لا يستطيع أيًا كان أن يقوم مقام الأم.

الحاجة إلى تشريعات ومؤسسات للرعاية

إن مجتمعاتنا الإسلامية وانطلاقًا من قيمها الدينية والأخلاقية، أحوج ما تكون لإنشاء مؤسسات رعاية، ولجان استشارية تعاضدها قوانين صارمة تتعلق بمستقبل الأولاد، خصوصًا ضحايا قضايا الطلاق والأزواج المنفصلين. إن مثل هذه المؤسسات والقوانين سبقتنا إليها المجتمعات المتقدمة في أمريكا وأوروبا، حيث أنشأت مؤسسات توفر

الاستشارة لكلا الزوجين المنفصلين، إزاء كيفية التعامل مع أبنائهما، كما سنت قوانين رادعة لحماية الأطفال.

إن مما يدعو للأسف انتشار حالة الأنانية وحب الذات، وروح الانتقام بين الأزواج المطلقين في مجتمعاتنا، حتى بدأنا نسمع عن الكثير من الحوادث المرعبة، على غرار ما حدث أخيرًا في مدينة الطائف غرب المملكة، مع مقتل الطفل ذي الأربعة أعوام، أحمد الغامدي على يد زوجة أبيه، حيث كان يعيش بعيدًا عن أمه المطلقة منذ كان في شهره الثالث. لقد قتل هذا الطفل على يد زوجة أبيه بعدما انهالت عليه بالضرب حتى الموت، ثم وضعته في كيس قمامة وألقت به في بناء مهجور، إلى أن أفشت أمرها خادمتها الأجنبية بعد تسعة أيام من الإنكار والتكتم حول مصيره[1]. هذه حادثة واحدة من حوادث العنف الأسري، وقد سبقتها حوادث مأساوية مشابهة تناولها الإعلام في حينه، عدا عن حوادث أخرى لم يبلّغ عنها.

إن تكرر حوادث العنف الأسري يلزمنا بالتحرك على ثلاثة مستويات:

أولها المستوى الشخصي، وثانيها المستوى القانوني، وآخرها المستوى الاجتماعي.

فعلى المستوى الشخصي، نحن مدعوون في حالات الخلاف الأسري إلى أن نتقي الله، وأن نفكر في مستقبل الأبناء، قبل الإقدام على قرارات بالغة التأثير في حياتهم.

(١) جريدة الرياض. الصادرة يوم الخميس ٢٨ رجب ١٤٣٢هـ، ٣٠ يونيو ٢٠١١م، العدد ١٥٧١١.

أما على المستوى القانوني، فلا بُدّ من تشريع قانون رادع يحفظ سلامة الأطفال، ويحمي مستقبلهم، عند نشوب الخلافات الأسرية الحادة.

كما أن من المهم جدًا على المستوى الاجتماعي، تأسيس لجان ومؤسسات متخصصة في هذا المجال، فكما أن لدينا لجانًا لإصلاح ذات البين، تعنى بالصلح بين الأزواج المختلفين، وتوقي وقوع الطلاق بينهم، كذلك تبرز الحاجة الماسة لإنشاء لجان تعنى بحماية أبناء الأزواج المنفصلين، وتقديم الاستشارة للمطلقين، لغرض تجنيب الأبناء الآثار السلبية للانفصال، وحتى لا يحدث هذا الطلاق خدشًا في نفوسهم، والأهم ألّا يصبح هؤلاء الأبناء ضحايا للانتقام والانتقام المضاد بين الأبوين، إن مساعيَ من هذا القبيل تنسجم إلى حدٍّ كبير مع تعاليم الدين الحنيف، وهي كذلك أمور جوهرية تلامس القيم والأخلاق الإنسانية والدينية.

التحرش الجنسي ووسائل العلاج

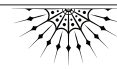

استتبع تزايد دخول المرأة حقل الحياة العامة، ومشاركتها الرجل سواء بسواء، بعد غياب طويل، ومشاركة محدودة نتيجة الثقافات والبيئات التاريخية التي كانت سائدة على مدى طويل، استتبع ذلك تداعيات سلبية، ومشاكل ذات أبعاد مختلفة، وأبرزها ذات البعد الجنسي، سيما في ظلّ الميل الغريزي للجنسين كل منهما تجاه الآخر، وكان من نتائج ذلك تداعي الجانب الأخلاقي الذي انعكس سلبًا على تماسك الأسرة إجمالًا، ومن ثم انعكس على الأمن الاجتماعي، بحيث صارت الغريزة الجنسية دافعًا للاعتداء والعدوان من خلال ما عرف بالتحرش الجنسي.

لقد بات التحرش الجنسي موضوعًا عالميًّا مطروحًا للنقاش، على طاولة المؤتمرات والندوات الموسّعة. لما له من انعكاسات خطرة على حياة النساء والأطفال، وقاد ذلك إلى سنّ كثير من التشريعات والقوانين في مختلف دول العالم، أما في منطقتنا التي طالما عرفت بكونها من المناطق المحافظة، فبالكاد خرج النقاش حول مشكلة التحرش الجنسي للعلن أخيرًا، بعد أن كان التعتيم على تنامي الظاهرة سيّد الموقف؛ لأنّ

تعقيدات المشكلة فرضت نفسها.

وفي بلد محافظ كبلدنا السعودية، تشير الإحصاءات إلى أنّ المملكة احتلت المرتبة الثالثة على صعيد التحرش الجنسي، من بين أربعة وعشرين دولة، وقد نشرت صحيفة الرياض، عن دراسة تشير إلى أنّ نسبة التحرش الجنسي بالأطفال في المملكة، بلغ ٢٢,٥ بالمئة، حيث بات يتعرّض طفل واحد من بين كل أربعة أطفال للتحرش، وأشارت الدراسة نفسها أن ٩٠ بالمئة من حالات التحرش ارتكبت على يد أشخاص معروفين للطفل[١]، فالمتحرشون إمّا هم من أفراد العائلة، أو أصدقاء العائلة الذين يكونون محلّ ثقة عند الطفل.

كيف نواجه المشكلة؟

إنّ تنامي هذه الظاهرة جعل مجتمعاتنا في حالة ارتباك إزاءها. فهناك اتجاه لا يرى حلًّا لهذه الظاهرة ووقاية المجتمع من تداعياتها، سوى بالإمعان في الفصل بين الجنسين على كلّ المستويات، وحجب مواقع التواصل الاجتماعي، تطبيقًا للمثل المعروف «الباب اللّي تجيك منه الريح سدّه واستريح»، ويأتي السؤال هنا، ما إذا كان هذا الفصل والحجب معقولًا أو ممكنًا من حيث الأصل؟!

إنّ هذا النمط من التفكير يشبه إلى حدٍّ بعيد، من يفكر في منع استيراد السيارات والعودة لركوب البعارين، والسبب مشاكل وحوادث المرور!، أو على غرار رجل الدين الذي وقف محذّرًا الناس في النجف الأشرف

(١) جريدة الرياض الصادرة يوم الجمعة ٧ ربيع الآخر ١٤٣٥هـ الموافق ٧ فبراير ٢٠١٤م، العدد ١٦٦٦٤.

حين أنشئت سكة القطار قائلًا: أيّها الناس، أتتركون حمير الله وتركبون حمير الشيطان!.

إنّ من غير الممكن الفصل بين الجنسين، فالحياة لا تجري وفق ما يشتهيه بعض المتشدّدين الذين بودّهم لو استطاعوا أن يجعلوا الرجال في كوكب والنساء في كوكب آخر منفصل تمامًا، أو أن تكون الدنيا من طابقين، أحدهما للرجال والآخر للنساء!.ولطالما اعترض هؤلاء المتزمّتون على خطوات سابقة، ثم وجدوا أنفسهم منصاعين لها رغمًا عنهم، من هنا فمن غير الممكن الدعوة إلى الفصل التام بين الجنسين. وعلاوة على عدم الإمكانية، فالتعاليم الدينية لا تحثّنا على إجراء هذا الفصل الحادّ بين الجنسين، فلا النصوص الدينية ولا السيرة النبوية، ولا سيرة الأئمة والخلفاء تدفع بهذا الاتجاه من قريب أو بعيد، ويكفي أن مناسك الحج كانت منذ البدء ولا زالت تؤدى جماعيًّا، ومختلطة بين الرجال والنساء، حتى إنّ أحد الدعاة عندما اقترح تخصيص طابق للنساء وآخر للرجال للطواف والصلاة في الحرم المكي، اعترض عليه الجميع، وسخروا من طرحه. وكذلك الحال مع حجب المواقع الإعلامية، ومواقع التواصل الاجتماعي فهذا أمر غير ممكن عمليًّا.

إنّه لا ينبغي الاستسلام لمشكلة التحرش الجنسي، وإنما ينبغي التفكير في معالجة المشكلة ضمن آفاق أوسع. فالمشكلة لم تعد منحصرة في بيئة معينة، بل باتت ظاهرة عالمية، تشغل بال كثيرين في هذا العالم، حتى بلغت أروقة أشد المواقع انضباطًا، كما في المعسكرات والثكنات العسكرية، بل وسجّلت حالات تحرش حتى في مقرّ وزارة

الدفاع الأمريكية نفسها، كما أنّ تداعيات هذه الظاهرة باتت خطرة على الأسرة والمجتمع في كلّ مكان. ونحن بما نستند إليه من قيم وتراث، يفترض أن نكون أقدر على مواجهة المشكلة، إذا ما فعّلنا قيمنا وتراثنا.

ثقافة الوقاية

وفي سبيل الحدّ من ظاهرة التحرش الجنسي في مجتمعاتنا لا بُدّ من اتخاذ خطوات أساسية، منها: إثارة قيم الانضباط والالتزام في حياة الفرد المسلم، فهناك كثير من الآيات القرآنية والنصوص الدينية، التي توجّه المسلم دائمًا وأبدًا إلى الحذر من انفلات غريزته الجنسية، والنأي عن الانسياق وراء الشهوات.

هذه التعاليم ينبغي أن نستحضرها باستمرار ضمن وعي الجمهور، وبين ثنايا التوجيه التربوي والثقافي للأفراد، ومن أبرز الآيات الواردة في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[سورة النور، الآيتان: ٣٠-٣١]، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[سورة المؤمنون، الآية: ٥]، وفي آية ثالثة قال سبحانه: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾[سورة الأحزاب، الآية: ٣٥]، ولفظة الفروج التي وردت في الآيات الكريمة إنما جاءت عنوانًا للغريزة الجنسية.

من الطبيعي أن ينجذب الإنسان غريزيًّا إلى مظاهر الإثارة والجمال، لكن ينبغي في الوقت عينه أن نتذكر بأن الله بصير رقيب على جميع

تصرفاتنا، وأنّ العقاب هو مآل أولئك الذين يطلقون العنان لغرائزهم. وفي مقابل ذلك، فإنّ الله سبحانه سيكافئ المنضبطين بأوامره ونواهيه بما هو أفضل من هذه المتع العابرة. وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من ملأ عينه من حرام ملأ الله عينه يوم القيامة من النار»[1]، فالنظر للحرام يستوجب العقوبة من الله، وهذا يشمل الرجل والمرأة على حدٍّ سواء. وعنه ﷺ أنه قال: «اشتدّ غضب الله عزّ وجلّ على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها»[2]، كما ورد عنه ﷺ: «النظر سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفًا من الله أعطاه الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه»[3]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غمض بصره لم يرتدّ إليه بصره حتى يزوّجه الله عزّ وجلّ من الحور العين»[4]. وعليه لا بُدّ من إثارة قيم الانضباط والالتزام في نفوس الأفراد كخطوة أولى في سبيل الحدِّ من هذه الظاهرة السيئة.

أجواء العفّة والاحتشام

كما أنّ من سبُل الحدّ من ظاهرة التحرش الجنسي في مجتمعاتنا، توفير أجواء العفّة والاحتشام، والبعد عن أجواء الإثارة. إذ إنّ ما يجري في أحيان كثيرة، هو أنّ الأفراد يضعون أنفسهم وسط أجواء الإثارة، من خلال مشاهدة الأفلام الإباحية التي تحرّض شهواتهم، ومن ثَمَّ تدفعهم نحو ارتكاب جرائم الاعتداء والتحرش الجنسي والاغتصاب. من هنا

(١) بحار الأنوار، ج ١٠١ ص٣٢، حديث ٣.
(٢) جامع أحاديث الشيعة، ج ٢٠ص٢٩٩، حديث ٦.
(٣) بحار الأنوار، ج١٠١ص ٣٨، حديث٣٤.
(٤) المصدر نفسه، ج١٠١ص٣٧، حديث ٢٨.

ينبغي أن نمنع مثل هذه الأجواء، إن على المستوى الشخصي أو العائلي، على أن يكون المنع قائمًا على أساس من الإقناع والتوعية، لا المنع بالقوة. ولا فائدة من ممارسة الإرشاد والتوعية في ظلّ بقاء كل وسائل الإثارة والإغراء، فعندها سنكون كما قال الشاعر:

ألقاه في اليـمِّ مكتوفًا وقال له إيّـاك إيّـاك أن تبتـلّ بالمـاء

وكما أنّ على الرجل أن يلتزم وينضبط، فكذلك على المرأة أيضًا التزام الحشمة، وألّا تُبدي زينتها، وتكشف عن مواضع الإثارة في جسمها، حتى تحافظ على عفّتها، وتمنع الاعتداء عليها، فهذا تكليف مشترك يشمل الجنسين.

وينسحب هذا الأمر داخل البيوت نفسها، فقد يكون هناك تساهل في الاحتشام داخل الأسرة وبين الأقرباء، فقد ترتدي البنات ملابس مثيرة، وحولهنّ إخوة مراهقون، وهؤلاء بشر يتأثرون بما حولهم، وقد يدفعهم نحو ارتكاب الحرام، كما ينطبق ذات المحذور على الشباب الذين يستعرضون مواقع الإثارة في أجسامهم أمام شقيقاتهم وأقربائهم. من هنا تأتي أهمية توفير أجواء العفّة والاحتشام داخل الأسرة.

القوانين الرادعة

أما الخطوة الثالثة والأخيرة من سبل الحدّ من التحرش الجنسي، فهي ضرورة سنّ العقوبات الرادعة. وتأتي في هذا السياق مناقشة مجلس الشورى السعودي لقانون الحدّ من التحرش الجنسي، وقد سبقتنا على هذا الصعيد دول كثيرة، بات التحرش الجنسي فيها يعتبر أحد أخطر

الجرائم، وقد وضعوا في هذا السبيل عقوبات شديدة رادعة للمتحرشين، بينما في بلادنا بعد لم تسنّ العقوبات الرادعة، بما يكفي للحدّ من هذا السلوك المشين. إنّ وجود العقوبات الرادعة، وتطبيقها بصرامة، سيكون له أثر في الحدّ من هذه الظاهرة.

الفصل الثالث

التعليم: مستقبل الأبناء

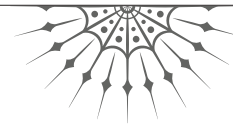

التعليم ومسؤولية العائلة

لا تنتهي مسؤولية العائلة عند حدود التنشئة الجسدية للولد، بتوفير احتياجاته الغذائية والصحية، بل إنها معنية أيضًا بتنمية قدراته العقلية، ومداركه المعرفية، وبتوجيه صفاته النفسية، وسلوكه الاجتماعي.

من هنا تؤكد النصوص الدينية على مسؤولية العائلة عن تعليم أبنائها، وأن ذلك حق من حقوق الأبناء، على الآباء.

جاء في الحديث عن أبي رافع عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «حق الولد على والده: أن يعلمه الكتابة، والسباحة، والرماية، وأن لا يرزقه إلا طيّبا»[1].

وفي حديث آخر عن أبي هريرة عنه ﷺ: «حق الولد على والده: أن يحسن اسمه، ويزوجه إذا أدرك، ويعلمه الكتاب»[2].

ومن قديم الزمان كان الحريصون على مستقبل أبنائهم، يهتمون

(١) علاء الدين علي المتقي الهندي. كنز العمال، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، حديث ٤٥٣٤٠.
(٢) المصدر نفسه، حديث ٤٥١٩١.

بتوفير فرص التعلم لهم، ويبحثون لهم عن المعلّمين، وينفقون على ذلك ما يلزم من التكاليف والمكافآت.

وفي حالات متقدمة لدى بعض المجتمعات كان يُبذل جهد أهلي من قبل الجهات الدينية وأصحاب الخير لإقامة مدارس التعليم، حيث لم تكن الدولة تتحمل مسؤولية التعليم. ومع بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، وبعد أن نشأت الدولة الحديثة في الغرب أصبح التعليم من وظائف الدولة تجاه المواطنين، وتدريجيًا ساد هذا النظام في العالم، وأصبح لكل حكومة وزارة أو أكثر مكلفة بشؤون التعليم، وميزانية مخصصة لذلك.

وصار يقاس تقدم الدول، ومستوى التنمية البشرية فيها بمقدار اهتمامها بالقضية التعليمية، كواحد من أهم المؤشرات والمقاييس.

أهمية التعليم

وإذا كان التعليم في الماضي يعتبر إضافة تكميلية لشخصية الإنسان، ووسيلة لتقدمه وتفوقه، فإنه في العصر الحاضر أصبح مقومًا أساسيًا لحياة الإنسان، وطريقًا يكاد يكون وحيدًا لبناء مستقبله.

فالإنسان في الماضي يمكنه العيش أميًّا، وكان يجد فرص العمل المعتمد على قواه العضلية دون مستوى دراسي، وكان يستطيع إدارة شؤونه وترتيب حياته وإن لم يمتلك شهادة علمية، لكن واقع الحياة اليوم مختلف تمامًا عن الماضي، كما هو واضح ومعلوم.

إذ لا مكان في حياة هذا العصر لغير المتعلم، بل ولا لغير المتقدم

في التعليم. وذلك يضاعف من مسؤولية العائلة تجاه تعليم الأبناء، فأي تساهل أو تفريط يعني ضياع مستقبلهم، بينما تمكنهم الرعاية والاهتمام التعليمي من شق طريق الحياة بقدرة ونجاح.

بين المدرسة والعائلة

باعتبار أن الدولة تتحمل مسؤولية التعليم، وأن المدارس الحكومية تستوعب الطلاب والطالبات، فإن الكثير من الآباء يرون أنفسهم غير معنيين بتعليم أبنائهم، ويلقون بكامل المسؤولية والعبء على المدرسة.

صحيح أن المدرسة بما تتوفر لها من إمكانات، وباحتضانها للطالب والطالبة فترة طويلة من الوقت، فإنها تستطيع القيام بالدور الرئيس في العملية التعليمية، لكن ذلك لا يعفي العائلة من تحمّل المسؤولية، ولا يغني عن دورها في الرعاية والاهتمام.

ونشير هنا إلى بعض الملاحظات والنقاط حول مسؤولية العائلة في مجال الدراسة والتعليم.

مسؤولية عائلية أولًا

العائلة الواعية هي التي تعتبر نفسها جهة المسؤولية أولًا وبالذات عن تعليم أبنائها، وأن تكون هي الأحرص على نجاحهم، والأكثر رعاية ومتابعة لهم. لأنها مخاطبة من الناحية الدينية بتحمل هذا الواجب، ولأن حبها لأبنائها وحرصها على مصلحتهم يجب أن يدفعها للاهتمام بتعليمهم، ولأنها التي ستجني ثمار نجاحهم أو تدفع ثمن إخفاقهم.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وحق ولدك أن تعلم أنه منك ومضاف

إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه»[1].

إن توفر فرص التعليم في المدارس الحكومية يساعد العائلة على تحمّل هذه المسؤولية تجاه الأولاد، ويرفع عن كاهلها الجزء الأكبر من الأعباء، لكنها يجب أن تدرك دورها الأساس في إنجاز هذه المهمة. وإذا ما انعدمت فرصة التعليم الرسمي أمام الولد أو البنت في أي مرحلة من المراحل، أو تضاءل مستواها، فإن العائلة ينبغي أن تتحمل مسئوليتها، بأقصى ما تستطيع من جهد، لتأمين فرصة دراسية مناسبة عبر التعليم الخاص، والابتعاث إلى الخارج.

وهذا ما تقوم به الآن بعض العوائل المتمكنة والمهتمة بمستقبل أبنائها، لذلك انتشرت المدارس الأهلية، ونأمل أن يتاح المجال لتأسيس كليات وجامعات أهلية، لتساعد في معالجة هذا المشكل الكبير الذي يواجه الكثيرين من المتخرجين والمتخرجات، من مرحلة الثانوية، حيث لم تعد طاقة الجامعات الفعلية في البلاد قادرة على استيعابهم، أو تلبية رغبة الطامحين منهم في بعض التخصصات كالطب.

وبعض العوائل قد تستطيع الإنفاق على تعليم أبنائها أو ابتعاثهم للدراسات العليا، لكنها لا تعتبر ذلك من أولوياتها، بينما تنفق الكثير من

(١) علي بن الحسين زين العابدين، رسالة الحقوق، ج١، الطبعة الثالثة ١٩٩١م، شرح السيد علي القبانجي، (بيروت: دار الأضواء)، ص٥٠٧.

المال على كماليات الحياة ومجالات الترف. وتكتفي بإلقاء اللوم على الأوضاع والظروف.

إن الاهتمام بتعليم الأبناء، والإنفاق على ذلك، هو من أهم الأولويات، وأفضل المصارف، وهو الاستثمار الصحيح، والادخار النافع.

التشجيع والمتابعة

من الطبيعي أن لا يدرك أكثر الأبناء في فترة الطفولة والمراهقة أهمية الدراسة والتعليم، وأن ينشغلوا باللعب واللهو على حساب برامجهم الدراسية، وخاصة في هذا العصر الذي توفرت فيه وسائل الترفيه والجذب، وأساليب الاستقطاب، وإثارة رغبات الشباب والمراهقين، من برامج تليفزيونية، وقنوات بث مباشر، وأجهزة كومبيوتر، وشبكة إنترنت، ومجالات الألعاب الرياضية.. وما أشبه. وارتفعت ثقة الشباب في أنفسهم، وإصرارهم على تحقيق رغباتهم، وتكونت لهم تجمعاتهم وشللهم الخاصة، في هذا الوضع تحتاج العائلة إلى بذل جهود مكثفة لتشجيع الأبناء والبنات على الاهتمام بدراستهم، والاجتهاد فيها.

وذلك عبر التحادث مع الأبناء وتوجيههم بأسلوب تربوي حكيم، يوضح لهم ما ينتظرهم من مسؤوليات مستقبلية، وما سيواجههم من تحديات الحياة، ويدفعهم للمواظبة والجد والاجتهاد.

كما أن إشعار الولد بالتقدير، وتقديم المكافآت المادية والمعنوية له، عندما يظهر التزامًا أو يحقق نجاحًا، تعتبر من أقوى الحوافز على اهتمامه الدراسي.

أما استخدام أسلوب الأمر والنهي فقط، أو ممارسة التعنيف والزجر دائمًا، دون بذل جهد للإقناع، ودون وجود انفتاح مع الولد لتعرف ما يدور في نفسه وذهنه، فذلك منهج خطأ وأسلوب غير مُجدٍ.

إن شعور الولد باهتمام أهله بتعليمه، ومتابعتهم لشؤونه الدراسية، يشكل دافعًا وحافزًا له نحو الاهتمام والاجتهاد.

ومشكلة بعض العوائل إهمال المتابعة لأوضاع أبنائهم الدراسية، بسبب انشغال الآباء والأمهات، أو لضعف وعيهم وإدراكهم للمسؤولية التربوية، أو لوجود مشاكل في العائلة، يدفع الأبناء ثمنها. ونسمع عن بعض الآباء أنه قد لا يعرف في أي مستوى يدرس ابنه، أو في أي مدرسة يتلقى تعليمه. ولا بد هنا من الإشادة بدور كثير من الأمهات اللاتي يبذلن جهودًا كبيرة في متابعة دراسة أبنائهن وبناتهن، إضافة إلى ما يتحملن من شؤون المنزل، ومهام الوظيفة في بعض الأحيان، أجزل اللّه لهن الأجر والثواب، وأقرّ أعينهن بصلاح أبنائهن إن شاء اللّه.

الأجواء المساعدة

الأجواء التي يعيشها الولد في البيت تؤثر وتنعكس إلى حدٍّ كبير على وضعه الدراسي، فالانسجام داخل العائلة، وتبادل الاحترام والتقدير، وجدّية الوالدين، وتنظيم ظروف الحياة، كل ذلك يساعد الولد على الالتزام والاهتمام الدراسي.

بينما المشاكل العائلية، وسوء العلاقة بينه وبين الأهل، أو لامبالاة الوالدين وتسيّب شخصيتهما، أو الفوضى في أوضاع المنزل، كعادة السهر وتأخر وقت النوم، وعدم انتظام الوجبات، وتهيئة وسائل الراحة..

كل هذه الأمور قد تسبب في ضعف الاهتمام والجدّية الدراسية عند الولد.

الأب المسؤول الأول

إنّ تعليم الأبناء واجب شرعي وإنساني تقع مسؤوليته على عاتق الآباء. فكما أنّ الآباء مسؤولون مسؤولية كاملة عن توفير الغذاء والملبس والمسكن لأبنائهم، وهم محاسبون أمام الله تعالى فيما لو قصّروا في توفير هذه الأساسيات لأبنائهم، كذلك الحال لو قصّر الآباء في توفير سبل كسب العلم والمعرفة لأبنائهم، فهم سيكونون أيضًا محاسبين أمام الله لو تسبّب إهمالهم في تأخر الأبناء دراسيًّا. وينصّ الحديث على أنّ الأب هو المسؤول الأول عن متابعة المسيرة الدراسية للأبناء، ولا يعفيه التنصّل من تلك المهمة وتحمل المسؤولية أمام الله بإلقائها على عاتق الأمّ، فهناك جملة من النصوص الدينية التي تتمحور حول مسؤولية الآباء تحديدًا عن تعليم أبنائهم.

ومع التطور البشري الكبير الذي قاد إلى إلقاء مسؤولية التعليم على عاتق المؤسسات الرسمية، تبقى مع ذلك مسؤولية تعليم الأولاد تكليفًا شرعيًّا على الآباء. فحتى مع تحول العملية التعليمية إلى مسؤولية تدخل في صميم عمل الحكومات وعلى مختلف المراحل من الابتدائية وحتى الجامعية، غير أنّ هذا لا يعني بأيّ حال إخلاء الآباء من المسؤولية عن رعاية هذه المهمة، فمن الخطأ الكبير الاعتقاد بإعفاء الأب من تحمّل المسؤولية بمجرد تسجيل ابنه في المدرسة النظامية.

إنّ الآباء معنيون بمتابعة أمور دراسة أبنائهم، والتواصل مع

المؤسسات التعليمية التي يدرس فيها الأبناء. وذلك لجهة إشعار الأبناء بالمتابعة الأبوية والاهتمام بتعليمهم، فإذا ما لمس الابن هذا الاهتمام والمتابعة من أبيه سيكون أكثر اهتمامًا وجدّية في دراسته، ومن جهة أخرى تنبع أهمية تواصل الآباء مع المؤسسة التعليمية التي تحتضن أبنائهم، لجهة تحفيز فاعلية القائمين على المؤسسة، فالإداريون والمعلمون يتفاعلون بشكل أفضل في أداء مهمتهم حين يكون هناك تواصل معهم من قبل أولياء أمور الطلاب. ومع وجود الكثير من الثغرات في أداء بعض المعلمين وقصور البيئة التعليمية تتضاعف أهمية المتابعة المنزلية للأداء التعليمي في المدرسة، لجهة مراقبة وتصويب عمل المؤسسة التعليمية في حال وجود التقصير.

تقصير الآباء في التواصل مع المدارس

ومما يبعث الأسى على هذا الصعيد، هو التقصير الملحوظ في متابعة الآباء لشؤون أبنائهم داخل المدرسة. فعلى الرغم من وجود المجالس المخصصة لأولياء الأمور، وسعي المدارس للتواصل الدائم مع أولياء أمور الطلاب، إلا أنّ هناك شكاوى مريرة من قبل إدارات المدارس من تقصير وضعف التجاوب من قبل أولياء الأمور في المتابعة والاطّلاع على أداء أبنائهم داخل المدرسة. إنّ من واجب أولياء الأمور متابعة أوضاع أبنائهم التعليمية، لتلمّس النواقص وسدّ الثغرات، إنْ على صعيد العملية التعليمية نفسها وعلى مستوى توفر الخدمات المطلوبة في البيئة التعليمية داخل المدرسة، فلا ينبغي بأيّ حالٍ أن يغضّ الآباء الطرف عن هذه الأمور، ويتركوا أبناءهم وبناتهم يواجهون مختلف الظروف الصعبة

طوال عامهم الدراسي، فالمطلوب منهم الضغط على إدارات المدارس وعلى إدارات التعليم من أجل تحسين البيئة التعليمية لأبنائهم وبناتهم.

من هنا، ندعو أولياء الأمور إلى تفعيل التواصل مع المؤسسات التعليمة. والحرص على المتابعة المباشرة مع إدارات المدارس والمعلمين، والاستمرار على مدار العام في متابعة التقويم الدراسي لأبنائهم وبناتهم، فذلك ما يدخل ضمن مجال المسؤولية الشرعية التي يحاسب عليها الإنسان أمام الله. ولأن من حقّ الولد على أبيه أن يُعلّمه، فإن ذلك ما يعني ضمنًا أن يتابع أداءه الدراسي طوال مسيرته التعليمية، وأن يهتمّ بجودة التعليم الذي يحظى به.

بين العائلة والمدرسة

لكي تحقق العملية التربوية غرضها بنجاح، ولكي يستفيد الولد من فترة دراسته وينجز أهدافها، لا بد من تعاون وثيق، وتكامل في الأدوار، بين العائلة والمدرسة. ويتم ذلك عبر النقاط التالية:

١. **متابعة سير الولد في المدرسة:** بمعرفة مدى مواظبته على الحضور، والتزامه بأداء الواجبات، واستيعابه للمواد الدراسية، وعلاقته مع إدارة المدرسة والمدرسين وزملائه الطلاب.

وتستطيع العائلة معرفة كل ذلك بالتحادث مع الولد وتفقد أموره، وبالتواصل مع المدرسة، ففي كل مدرسة هناك مرشد طلابي معني برصد أوضاع الطلاب، كما ترحب الإدارة بأي تواصل من أولياء أمور الطلاب، وتضع برامج لذلك التواصل عبر تقارير المستوى الشهري وغيره.

٢. **مراقبة العملية التعليمية**: حينما تنفق الدولة ميزانية ضخمة على التعليم، وتعيّن جهازًا كبيرًا من الموظفين لتسيير أموره، فإنها تستهدف إنجاز العملية التعليمية على خير وجه. وواجب كل مواطن واعٍ المساعدة على تحقيق هذا الهدف، وخاصة أولياء أمور الطلاب، بأن يهتموا بالاطّلاع على مناهج التعليم، ويبدون تجاهها آراءهم ومقترحاتهم، وكذلك أنظمة التعليم، وأن يراقبوا سير الإدارة والتدريس في مدارس أبنائهم وبناتهم، فإذا ما وجدوا خللًا أو نقصًا، فعليهم المبادرة إلى التحرك والعمل من أجل معالجته وإصلاحه.

فقد يعاني بعض الطلاب من نقص أو مشكلة في مدرسته أو مع معلميه، ولا يعرف كيف يتصرف تجاه ذلك، فإما أن يستسلم ويسكت على الخطأ، أو يتصرف بشكل خطأ تجاهه، وواجب الآباء التدخل لمعالجة مثل هذه الأمور، والسبل متاحة، وأبوابها مشرعة، بالتخاطب مع الجهات المعنية في المدرسة، أو الإدارة المرتبطة بها، أو حتى الجهات العليا إن استلزم الأمر. وقد أصبح المجال متاحًا لمناقشة أي رأي أو فكرة أو ملاحظة ترتبط بالعملية التعليمية حتى عبر وسائل الإعلام والصحافة.

ومن حسن الحظ صدور مجلة شهرية قيّمة من قبل وزارة المعارف بعنوان (المعرفة) تهتم بمناقشة قضايا التعليم بموضوعية وانفتاح.

إنه لا يصح السكوت على النواقص والأخطاء، ولا ينبغي الاكتفاء باجترار المشاكل والسلبيات في المجالس الخاصة، بل

المطلوب استكشاف الطرق والسبل لمعالجة أي نقص أو مشكل، من أجل مصلحة المجتمع والوطن.

٣. **التعاون مع المدرسة:** المدرسة هي المكان الذي يقضي فيه الولد أكثر فترة من الوقت خارج منزله، وهي الجهة التي تمتلك أكبر تأثير على الولد بعد عائلته، وهي طريقه للنجاح والتقدم في الحياة.

لذا فعلى العائلة أن تهتم بمدرسة ابنها كما تهتم بالمنزل، وأن تساعد المدرسة على القيام بدورها ومهمتها، والتي تصب في مصلحة الولد بالنتيجة.

إن التبرع والدعم المالي من قبل الأهالي لمؤسسات التعليم، هو مؤشر على إدراك الأهالي لمسؤوليتهم تجاه التعليم وتجاه أبنائهم، فيجب أن نجعل من مدارس أبنائنا أماكن جميلة مريحة تتوفر فيها كل الوسائل والمستلزمات. صحيح أن هناك ميزانية من الدولة للتعليم، وأن الوزارة يجب أن تتحمل مسؤوليتها في هذا المجال، لكننا أيضًا معنيون براحة أبنائنا ومصلحتهم، وليس حرامًا ولا عيبًا أن يتبرع المواطن ويسهم فيما يخدم البلاد والمجتمع، وإن لم يكن ذلك مطلوبًا منه ومفروضًا عليه.

يحدث في بعض الأحيان مثلًا: أن يصاب جهاز التكييف في أحد الفصول بخلل فني، و يحتاج إصلاحه أو استبداله عبر القنوات الإدارية إلى وقت طويل، ويبقى الأولاد أو البنات يعانون من الحر الشديد طيلة فترة الانتظار لإصلاح الخلل، بينما لو بادر أهاليهم أو بعضهم بشيء من العطاء، لوفروا على أبنائهم الكثير من التعب والعناء.. وأمثال ذلك من الحالات..

من جانب آخر فإن الدعم المعنوي من قبل الأهالي لإدارة المدرسة ومدرسيها، بالتواصل معهم، وتقدير جهودهم وعطائهم، وبالتنسيق معهم لمتابعة مستوى الطالب ورفع كفاءته ومعالجة بعض ما قد يحصل من إشكاليات، كل ذلك يعود بالنفع والفائدة على الأبناء ويخدم مسيرتهم العلمية.

وما يقوله بعض الآباء من أن هؤلاء موظفون يقومون بدورهم الوظيفي مقابل راتب من الدولة، فيه الكثير من التنكر والتجاهل لما يقوم به المعلمون من دور مهم خطير تجاه أبنائنا وبناتنا. والدافع الوظيفي لا يكفي وحده غالبًا للإخلاص والاجتهاد في إنجاز هذه المهمة الحساسة، فينبغي تحفيز الدوافع المعنوية لدى المعلّمين، وتواصل الأهالي واحترامهم، هو من محفزات العطاء الأكثر، والاهتمام الأكبر، لدى الإدارة والمعلمين في المدرسة.

كما يُشعر المقصّرين منهم بالإحراج وإعادة النظر في ضعف مستوى أدائهم، ما داموا تحت المجهر، وعلى صلة بأولياء الأمور.

إن وجود مجالس الآباء والمعلمين في المدارس يشكل إطارًا جيدًا لتوثيق التواصل بين العائلة والمدرسة، إذا ما تفاعل الأهالي بحضورهم وعطائهم واهتمامهم بهذه المجالس.

كيف نُشوّق أبناءنا للدراسة والتعليم

من الطبيعي أن تشكّل بداية السنة الدراسية حدثاً اجتماعيًّا، يسترعي انتباه كلّ أبناء المجتمع، فكلّهم معنيّون بمسألة التعليم، بشكل مباشر أو غير مباشر، حتى مَنْ ليس لديه أبناء في المراحل الدراسية، قد يكون لديه أحفاد أو أسباط، كما أنّ دراسة أبناء المجتمع تهمّ الجميع، ذلك أنّ مستقبل المجتمع يرتبط بمستوى تعليم أبنائه، إذا تقدّم المستوى التعليمي لدى أبناء المجتمع، فإنّ ذلك يصبّ في صالح رقيّ المجتمع ككل، وعلى العكس من ذلك إذا تأخّر أو تقهقر!!

دور المنابر الدينية

من هنا يجب أن يكون لمنابرنا الدينية، وأجوائنا الشعائرية الروحية، دورٌ في الاهتمام بالتعليم، فهي ليست قضية منفصلة عن الدّين والتديّن.

نحن نرى تفاعل منابرنا مع المواسم الدينية، حينما يقبل شهر رمضان المبارك، يقوم العلماء والخطباء بتهيئة الناس للصيام، بالحديث عن فضله وعن مسائله الشرعية، وكذلك قبيل الحج، يتحدّث الدّعاة والموجّهون عن مسائل الحج والترغيب فيه، وكذلك يجري الحديث قبيل عاشوراء، أو

زيارة الأربعين، فهي مواضيع حاضرة في أحاديث الخطباء ومحاضراتهم، في مقابل ذلك ينبغي ألّا تغيب مسألة التعليم وبداية السنة الدراسية عن الخطاب الديني، ينبغي للخطباء أن يتناولوا في أحاديثهم هذه المسألة المهمّة، وما يرتبط بها من مسائل فقهية وتربوية، تتعلق بالمعلم ووظيفته، وتعامله مع الطلاب، إضافة إلى الآداب والأخلاقيات الخاصّة بالمعلّم والمتعلّم، وفي تراثنا مئات الأحاديث حول العلم والتعلم والتعليم، هذا التراث الكبير ينبغي أن يُفعّل في مجال الإرشاد الثقافي الديني.

كتاب (منية المريد)

أحدُ أعاظم علمائنا، وهو الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي العاملي (٩١١ – ٩٦٥هـ) صنّف كتاباً مهمًّا، من أروع كتب التراث في التربية والتعليم، وأهمية العلم والمعرفة، وعنوانه (منية المريد في آداب المفيد والمستفيد)، وهو كتاب جميل رائع، حول أهمية تحصيل العلم، ووظيفة المعلم وأخلاقه وآدابه، وكذلك حول طالب العلم وواجباته وحقوقه.

ينبغي لكلّ من له ارتباط بالعملية التربوية التعليمية من معلّمين وإداريين وآباء، أن يقرؤوا هذا الكتاب، وأن يطّلعوا عليه، ومن المفيد أن يتبنّى بعض المحسنين نشر الكتاب وإيصاله إلى المعلّمين، بحيث يحصل كلّ معلّم على نسخة منه، حتى يطّلع على دوره ومسؤولياته تجاه أبنائه الطلبة.

معظم المعلّمين اليوم من أبناء المجتمع، وعلى عاتقهم مسؤولية كبيرة تجاه التلاميذ والطلاب، ونظرة المعلم ينبغي أن تتجاوز حدود

الوظيفة كمصدر رزق فقط، فالتعليم مهمّة لها مكانتها العظيمة من الناحية الدينية، والمعلّم يقوم بعمل له مسحة دينية، فهو عبادي له أجرٌ وثواب إنْ هو أحسن القيام بدوره عنه، وكتاب (منية المريد) يشير إلى هذا الجانب ويُعزّزه.

ونجد أنّ عددًا من الأدعية المأثورة واضحة في الحثّ على العلم، والدعاء للعلماء والمتعلمين كالفقرة التي في الدعاء المروي عن رسول اللّه ﷺ: «اللّهُمَّ انفَعني بِما عَلَّمتَني، وعَلِّمني ما يَنفَعُني، وزِدني عِلمًا»[1]، وورد أيضًا في دُعائِهِ ﷺ: «اللّهُمَّ إنّي أسأَلُكَ عِلمًا نافِعًا»[2].

وفي الدعاء المروي عن الإمام المهدي ﷺ: «وَتَفَضَّلْ عَلى عُلَمائِنا بِالزُّهْدِ وَالنَّصيحَةِ، وَعَلَى الْمُتَعَلِّمينَ بِالْجُهْدِ وَالرَّغْبَة»[3]، وهناك كثير من النصوص والأحاديث والأدعية التي تؤكّد أهمية التعليم، وترفع من شأن طالب العلم.

التكامل بين التعليم والمناسبات الدينية

ينبغي أن تكون برامجنا الدينية متكاملة مع التعليم، وليست متصادمة، البعض يظنّ أنّ هناك نوعاً من التزاحم، ويرى أنّ حضور المناسبات الدينية مقدّم على الدراسة، لكن المتأمّل لجوهر المناسبات الدينية وحقيقتها يجد أنّها حثّ على العلم والمعرفة.

(١) سنن الترمذي. ج٥، ص٥٧٨، حديث ٣٥٩٩.
(٢) الكافي. ج٤، ص٢٥٠، حديث ٧.
(٣) مصباح الكفعمي، ج١، ص٢٨٠، من دعاء الإمام الحجة ﷺ: اللهم ارزقنا توفيق الطاعة.

وحتى يتحقّق التكامل فإنّ إحياءنا للمناسبات الدينية يجب أن يأخذ بعين الاعتبار توقيت المدارس وأنظمتها والتزاماتها، ولا بُدّ من وضع حدٍّ لاتخاذ كلّ مناسبة دينية مبررًا للغياب عن المدرسة، وكذلك السهر إلى وقت متأخر في مواكب العزاء أوقات الدراسة.

ويهمنّي أن أؤكّد على قضية مهمة تطرح في مجال التعليم، وهي تحفيز الرغبة في التعليم عند الطلاب، وخلق حالة الشّوق والمحبّة في نفوس الطلاب والطالبات للدراسة والمعرفة، لأننا نلحظ ـ وخاّصة في مجتمعاتنا ـ أنّ التعليم بدأ يصبح وكأنّه شيءٌ ثقيل، الطالب يذهب إلى المدرسة متثاقلاً، بل حتى العائلة تعتبر أيام الدراسة أياماً ثقيلة عليها، تنتظر الإجازة، بل تتمنّى أنّ أغلب أيام السنة إجازة، وكذلك المعلّمون!!

وهذه مشكلة كبيرة، إذا كنّا نتعامل مع العلم والتعليم ـ مع أهميته وخطورته ودوره ـ باستثقال، وننظر له باعتباره عبئاً، فكيف نريد لأبنائنا أن يجدّوا ويجتهدوا ويتفوقوا؟!

القضية المهمّة: كيف نؤكّد مسألة الشّوق للمدرسة والدراسة؟

كيف يذهب الطالب إلى المدرسة بلهفة وشوق لا أن يُجرّ إليها جرًّا؟!

وكذلك المعلم، كيف يذهب إلى المدرسة برغبة واهتمام، وليس باستثقال؟.

هذه الحالة العامة التي نجدها من الحرص على الإجازات، أو تعطيل الدراسة بسبب شيءٍ من الأمطار أو سوء الأحوال الجوية!!

لماذا هذه الحالة؟!، ينبغي أن نحرص على أن يذهب أبناؤنا للمدارس.

هناك بلدان عديدة في العالم تكثر فيها الأمطار، لكنّ الدراسة لا تعطّل، فهم رتّبوا حياتهم بحيث لا تفوتهم أيام دراسة، بينما نجد في مدارسنا أنّ عدد أيام الدراسة قليلة، بسبب هذه الحالة!

النتيجة هي تدنّي المستوى التعليمي، انخفاض الرغبة في العلم والمعرفة، وهذا ليس في مصلحة المجتمع، من هنا نحن معنيون جميعاً بخلق حالة التحفيز للدراسة لدى أبنائنا ومعلّمينا، ويتحمّل هذه المسؤولية أطراف عديدة:

أولاً: دور العائلة

يمكن للعائلة أن تقوم بدور كبير في رفد العملية التعليمية، وذلك من خلال:

١. التشويق

ينبغي أن تهتمّ العائلة بخلق حالة الشوق والمحبة في نفوس أبنائها وبناتها للدراسة، بعض الكلمات لها أثر سلبي في نفس الطالب، فحينما يتحدّث الأب بعبارات، مثل: «ستنتهي الإجازة.. الله يساعدنا»، فإنّ هذه العبارة وأمثالها تُشعِر الابن بثقل الدراسة، ويستقرّ في (عقله الباطن) أنّ الدراسة والتعليم شيءٌ ثقيل، بينما ينبغي أن تُشعر العائلة الأبناء بالرغبة في العلم والتعلم، من خلال عبارات لها إيحاءات إيجابية من قبيل: «الحمد لله المدرسة ستفتح أبوابها، ونرتاح بالمدرسة» لإشعارهم بالشوق والمحبّة للدراسة، العائلة معنية بهذا الأمر، عبر الحديث مع الأبناء حول

أهمية الدراسة، وأهمية التعلّم، وذكر القصص، والحقائق.

٢. عدم تَضخيم الأُمور السّلبية

لا تَخلُو العملية التعليمية في أيّ بلدٍ من بعض السّلبيات، فقد تكون في المدارس نواقص من ناحية المبنى، أو قصور أو تقصير لدى بعض أعضاء هيئة التدريس أو الإدارة، وكذلك المناهج فيها جوانب من النقص أو الضعف، لكن لا ينبغي تضخيمها أمام الأبناء، الطالب قد يلاحظ جوانب النقص، وينقلها لعائلته، وهنا يأتي دور الأب في اختيار الكلمات المناسبة التي لا تترك آثاراً سلبية لدى الأبناء تجاه المدرسة.

بالطبع ينبغي السّعي لمعالجة المشاكل وجوانب القصور والتقصير، لكن يجب أن يكون ذلك في إطار الحكمة التي تلحظ آثار العبارات على نفس الطالب وفكره.

فبعض الكلمات تدفع الطالب إلى النفور من المدرسة، والاتّكاء على ما سمعه من عبارات والديه تجاه المدرسة.

٣. التواصل مع المدرسة

ينبغي ألا يكون الولد في المدرسة في عالَمٍ مفصول عن عائلته، على العائلة أن تتواصل مع المدرسة بشكل إيجابيٍ، فكثيرًا ما تشكو إدارات المدارس من ضَعف تواصُل أولياء الأمور، الأب غير مُهتمّ بالتواصل، وفي بعض الأحيان يترك المسؤولية على الأم، وقد لا تكون الأم قادرة على أن تتفقد أبناءها، أو تتواصل مع إدارة المدرسة.

ذات مرة سألت عدداً من الآباء عن التواصل مع المدرسة، فالبعض

أجاب بأنه لم يذهب إلى المدرسة منذ أن سجّل ابنه فيها!

والبعض أجاب: لم أذهب إلى مدرسة ابني منذ عدة شهور!!

ابنك يقضي شطرًا كبيرًا من أيّامه في المدرسة، ألا تكلّف نفسك أن تتعرف على وضع هذه المنشأة التعليمية؟ ووضع الإدارة فيها؟!

بعض أولياء الأمور تحدّثوا عن إيجابيات كثيرة من خلال تواصلهم مع إدارة المدارس، سواء من الناحية التربوية أو التعليمية.

٤. القدوة الصالحة

أن يكون الوالدان قدوة أمام الأولاد في الاهتمام بالعلم والمعرفة، بعض الآباء والأمّهات يضغطون على أبنائهم، بالعبارات والكلمات المجرّدة:

«لماذا لا تذاكر؟!»، «قم راجع دروسك «...إلخ

بينما الابن لم يَرَ أباه يوماً يقرأ كتاباً!

لم يَرَ أمّه تفكّر في موضوع علمي!

فكيف نخلق عندهم هذا الحافز، ونحن نفتقد ممارسة الاطّلاع والقراءة؟!!

الأبناء الذين يرون عوائلهم، آباءهم، أمّهاتهم، لديهم اهتمام بالعلم والمعرفة، بطبيعة الحال سيتأثرون بهم.

بعض العوائل يتفاعلون مع أبنائهم في دروسهم، ويسألونهم في مواضيع علمية تخصّ دراستهم، وهم بذلك يبدون اهتمامًا مؤثّرًا مشجّعًا،

وكأنّ الابن يعلّم أباه أو أمّه، يشرح لهم بعض المسائل العلمية، وهو يشعر بأهمية ما درس، هذا يخلُق حافزًا عند الأبناء، حينما يرون اهتمامًا عند العائلة بالمعرفة والعلم.

٥. برمجة حياة العائلة بما يخدم الاهتمام التعليمي

مجتمعاتنا تعوّدت بعض العادات السّلبية التي ليست في صالح الجدّية في التعليم ولا في العمل.

ومنها عادة السّهر، حينما تسهر العائلة على مشاهدة المسلسلات والأفلام، أو الخروج للتمشية والزيارات، ويطلب من الابن المبادرة للنوم المبكر، يشعر بأنه محروم من شيءٍ يعيشه بقية أفراد العائلة، فهو يحبّ أن يجلس معهم ويشاركهم السّهر.

بينما لو كانت العائلة كلّها تُوقّت نومها، ويقظتها، وأوقات طعامها بما يخدم حالة التعليم ووضع الأبناء في التعليم، سيكون ذلك مفيدًا جدًّا.

فحين يسهر الأبناء إلى وقت متأخّر من الليل، يكون استيقاظهم بمشقّة، واستعدادهم للخروج إلى المدرسة يحتاج إلى كلفة.

فكيف يكون لديه نشاط وحيويّة؟!.

الأبناء في مرحلة الدراسة ينبغي أن تحيطهم العائلة بأجواء الجِدّ والحيويّة والنشاط، حتى يكون الأولاد أكثر رغبة وأكثر نشاطًا.

ثانيًا: دور المعلم

المعلم ينبغي أن يعرف أنه يقوم بِعَملٍ عِبَادِيّ اجتماعي، وأن يتعامل مع الطلاب باعتبارهم أبناءه، وغدًا سيرى نتاج عمله ماثلاً أمامه، طبيبًا

يعالجه، أو موظّفًا في دائرة حكومية يخدمه، أو زوجًا لابنته، أو معلّمًا لأبنائه، وهكذا يقطف المعلم في المستقبل ثمار ما غرس في الماضي.

مِن هُنا ينبغي للمُعَلّمين أن يجتهدوا، ويُخلِصوا، وألّا يتعاملوا مع التعليم كمجرّد مِهنةٍ أو مصدر رِزقٍ، وإنّما بالفعل يتقرّبون إلى الله سبحانه وتعالى لقيامهم بهذا الدور.

ثالثًا: الأجواء الاجتماعية العامة

ينبغي أن تكون الأجواء الاجتماعية مُشجّعة على التعليم، فالمجتمع ينبغي أن يَخلُق أجواء التنافس للرقيّ بمستوى أبنائه، وقد حصلت بعض المبادرات الإيجابية في هذا الإطار، كإقامة احتفالات تكريم المتفوقين سنويًّا، وهو أمر مهمٌّ للغاية، ينبغي أن ينتشر في جميع مدن وقرى المنطقة.

وقبل ذلك نحتاج إلى صنع الأجواء التي تُنتِج المتفوقين.

كيف نصنع متفوقين؟

أن نهتمّ بالمنشآت التعليمية، نعم.. هي مسؤولية الدولة في المقام الأول، لكن بعض القضايا تحتاج متابعة من أبناء المجتمع، تحتاج اهتمامًا من الناس.

اِعتَبِر نفسَك مَعنِيًّا بِأَوضاعِ المدرسة الموجودة في منطقتك، وينبغي أن تهتم فئة من أبناء المجتمع بأَوضاع المدارس، بتوفير النواقص فيها، بالمتابعة مع المسؤولين. في بعض الأحيان البيئة التعليمية لا تُشجّع الطالب على الرغبة في الدّراسة.

مناهج التعليم والتربية على احترام الآخر

كلما ارتقى المستوى الفكري للإنسان كان أكثر احترامًا للآخر، وكلما ازداد الإنسان علمًا كان أكثر تواضعًا للحقيقة، وفي المقابل فإن النظرة الضيقة والأفكار المتحجرة تمنع الإنسان من رؤية الآخر والاعتراف به، كما أن الإنسان الجاهل بطبعه يتكبر على من سواه، ضمن هذه المعادلة نكتشف الأسباب المباشرة لكثير من المشاكل الاجتماعية التي تقوم على العنصريات والنظرة المذهبية الضيقة، وكلها عناوين مسؤولة عن الحالة المزرية التي تعيشها أمتنا الإسلامية، الأمر الذي يوجب وقفة جدية لمعالجة فكرية وتربوية ترتقي بالأمة إلى مستوى الوعي الفكري والنضج النفسي، ولإنجاح هذا المشروع لا بُدّ من تضافر الجهود وتوزيع الأدوار، ومن أهم ما يمكن الاعتناء به هو التربية التي تقوم بمعالجات جذرية منذ الطفولة لكثير من المشاكل.

تنشئة الأبناء على الاحترام المتبادل

من المهام الملحّة في تربية الأبناء تنشئتهم على احترام الغير، وحسن التعامل مع الآخر، وتلك هي وظيفة الوالدين في الأصل، ووظيفة

الجهات المعنية بالتربية والتعليم، فحينما يفتح الطفل عينه على محيطه الاجتماعي، قد يرى أناسًا مختلفين معه في اللون أو الشكل أو الدين أو الطبقة الاقتصادية، فأول ما يواجه هذا الطفل هو كيف يتعامل مع هذا الاختلاف وكيف ينظر للآخرين؟

هنا يأتي دور التربية فالتنشئة السليمة هي التي توجه الطفل إلى احترام الآخرين باعتبارهم بشرًا تجمعهم مشتركات الإنسانية، أما الاختلاف في الأمور الأخرى فهو اختلاف عرضي لا علاقة له بجوهر بشرية الإنسان، فلا ينبغي احتقار أحد أو الاستهانة به أو إساءة التعامل معه بحجة أنه يختلف معي في بعض الأمور، وهذا ما يجب أن يُربى عليه الأبناء من قبل عوائلهم، ويغرس فيهم منذ الطفولة، ولذلك ينقل لنا القرآن الكريم مواعظ لقمان الحكيم الذي شهد الله له بالحكمة، وجعل في القرآن سورة باسمه، فعندما يتوجه لقمان لابنه لكي يعظه، وبعد أن يحدثه عن توحيد الله ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[سورة لقمان، الآية ١٣] يستمر في مواعظه إلى أن يقول: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ ماذا يعني تصغير الخدّ؟ هو الإعراض بالوجه احتقارًا واستهانة، ﴿وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ لا تشعر بالغرور بسبب إمكانية أو تفوق ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ المختال من الخيلاء، أي إن الإنسان يتخيل في نفسه أنه عظيم ومهم، وأنه أعلى من الآخرين، فيعيش هذا الخيال كأنه واقع، وهو غير ذلك، والله لا يحب هذا الإنسان الذي يتعامل مع الآخرين على هذا الأساس.

هذه النصيحة التي قدّمها لقمان الحكيم هي درس لكل الآباء

والعوائل، أن يتحدثوا مع أبنائهم، ليؤكدوا لهم احترام الإنسان، وخاصة حينما يعيش الأبناء في محيط تعددي تتنوع فيه الانتماءات، لا بُدّ من التأكيد على القيمة الإنسانية العليا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣] وهكذا تتحدث النصوص المختلفة عن رسول الله ﷺ كقوله ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب»[١]، «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»[٢]، يقول الإمام علي عليه السلام: «فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَ إِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»[٣] احتقار الآخر لوجود اختلاف أو تباين معه هذا مرفوض، وموجب لغضب الله سبحانه وتعالى، ورد عن رسول الله ﷺ قال: «لا يزرين أحدكم بأحدٍ من خلق الله فإنه لا يدري أيهم ولي الله»[٤]، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[٥]، هذا هو المنحى السليم، منحى تربية الأبناء على احترام الآخر المخالف، أما التربية على العنصرية التي يمكن أن نشهدها في بعض الأسر والمجتمعات التي تسودها ثقافة العنصرية، يتربى فيها الأبناء على احتقار الغير الذي يختلف معهم في الشكل أو في الانتماء.

(١) تحف العقول، ص٣٤.
(٢) مسند أحمد بن حنبل. ج٥، ص٤١١.
(٣) نهج البلاغة. كتاب ٥٣.
(٤) وسائل الشيعة. ج١٥، ص٣١٣.
(٥) صحيح مسلم. ص١٣٨٦، حديث ٢٥٦٤.

ثقافة العنصرية في مجتمعاتنا

مع الأسف الشديد أن مجتمعاتنا المحسوبة على الدين تعاني من هذه المشكلة، في حين أن مجتمعات أخرى غير محسوبة على الدين قد تجاوزت حالة العنصرية، نحن في بلادنا والحمد لله كلنا مسلمون، وهنالك تنوع قبلي ومذهبي وفكري ينبغي أن يتربى الأولاد على احترام هذا التنوع، لا بُدّ لنا أن نذكر بمسؤولية المدارس في التربية والتعليم، وتأكيد قيمة احترام الآخرين، وخاصة في هذه الظروف، ومنطقتنا تستقبل أمواجًا من الفتن الطائفية والعنصرية، التي تريد تمزيق مجتمعاتنا وأوطاننا، وإيجاد حالات الاحتراب والنزاع في أوساط شعوبنا، في هذه الظروف يجب أن يكون هناك اهتمام كبير في مراحل الدراسة حتى تتركز هذه القيمة، والحوار الوطني والمذهبي يجب أن يجد مصداقيته أولًا في مجال التربية والتعليم.

هؤلاء الطلبة الذين قد يختلفون في انتمائهم القبلي والمذهبي ينبغي أن تتحمل المدرسة مسؤولية تربيتهم على الانفتاح والاحترام وقبول التعددية، وما يؤسف له أن الواقع القائم في مجتمعاتنا تنتشر فيه بعض الظواهر السلبية على هذا الصعيد، بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٤٣٣هـ نشرت جريدة الرياض تحقيقًا حول هذه المشكلة بعنوان (القبيلة هاجس الصغار في المدرسة والحارة) ومما جاء في التحقيق: إن العنصرية بين الأطفال لا تبشر بخير، وأن أهم سؤال عند الأطفال (أنت قبيلي ولا حضري، ومن أي منطقة أنت) إذا كان الأطفال في أيام صغرهم ودراستهم يعيشون هذه العنصرية فماذا نتوقع منهم عندما يكبرون ويحتلون المواقع؟!

البداية من المدرسة

إننا جميعًا دولة ومجتمعًا إذا كنا جادّين في الحوار الوطني والمذهبي فلنبدأ من المدرسة. والأمر الأول يبدأ من المناهج الدراسية التي يجب أن نتجاوز فيها كل حالات التعبئة والشحن، وبعض المناهج فيها شحن مذهبي، فينبغي التخلص منها، واستبدالها بمناهج تعزز التعددية، فحينما يدرس بعض الأبناء أن الشريحة الأخرى من المجتمع الذي يعيشون معه مبتدعة ومشركة وخارجة من الدين، ماذا تتوقع أن تكون العلاقة بين الناس؟

ينبغي أن تقوم مناهج التعليم بشرح الخريطة الاجتماعية للطلاب، ويقال لهم إنكم تنتمون إلى وطن وشعب يتكون من عدة شرائح، ومن عدة مذاهب، كما يُعرف الطالب بالمذاهب والاتجاهات الموجودة تعريفًا موضوعيًا، مع محاولة توجيه الطلاب ليتفهم بعضهم بعضًا، وأن ينفتحوا على بعضهم بعضًا، وبهذا تتحمل مناهج التعليم مسؤولية كبيرة في تعزيز الوحدة الوطنية.

الأمر الثاني: صناعة الأجواء الوحدوية في المدرسة، لكي يعيش أبناؤنا في المدارس حالة التعاون والتحابب.

الأمر الثالث: إن بعض المعلمين يأتي لكي يقوم بدور التبشير والتعبئة والشحن العنصري والطائفي، والمدرس هو الذي يجب أن يكون قدوة للطلاب، وبخاصة في النظرة الإنسانية التي تساوي بين الجميع.

نجد في المجتمعات الأخرى الحريصة على وحدتها الوطنية، يربون الأولاد على الانفتاح على بعضهم بعضًا وعلى محاربة العنصرية. نحن

في مدارسنا يجب أن نعيش أجواء الوحدة والانفتاح والاحترام المتبادل، حتى نراهن على تنشئة جيل يؤمن بالوحدة الوطنية، ويمارس الحوار والانفتاح وهي مسؤولية الدولة والعائلة ومناهج التربية والمدارس، كما هي مسؤولية الخطاب الديني ووسائل الإعلام، إذا كان هناك حرص على وحدة وأمن وطننا وعلى التزام قيم ديننا.

العطلة الصيفية وفرص التطوير

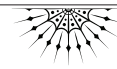

ثمة أشياء في الحياة لا يمكن تعويضها إن فقدت، وأهمها عُمر الإنسان نفسه. فقد يفقد المرء بعض أو سائر ما يمتلكه من مال أو متاع، إلّا أنّ تعويض جميع ذلك يبقى أمرًا ممكنًا، فتلك طبيعة الأمور، خاصة في مجالات التجارة والأعمال. غير أنّ عمر الإنسان المتمثل في أيامه وساعاته في هذه الحياة، هي مما لا يمكن تعويضها إن فات شيء منها، ذلك أنّ رصيد الإنسان من الحياة محدود، فقد وضع الله سبحانه لكلِّ أحد، في «بنك الحياة» رصيدًا محدّدًا من العمر، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٦١] ويتضح جليًّا مدى قصر عمر الإنسان عند القياس مع حجم الطموحات والآمال الكبيرة التي يحملها، بسبب تميّزه بنعمة العقل، والروح التي بثّها الله ونفخ فيه من روحه. ومهما طال عمر الإنسان، الذي بلغت معدّلاته اليوم في بعض البلاد حدَّ الثمانين سنة، فإنّ ما يفقده من رصيد عمره المحدود، وأيامه المعدودة تلك، لن يتسنّى له تعويضها بأيِّ حالٍ من الأحوال، ما يعني ضرورة حرص الإنسان أشد ما يكون الحرص على كلّ لحظة من لحظات حياته.

استثمار كلّ لحظة حياة

وتضمّنت التعاليم الدينية الكثير من الوصايا في الدفع باتجاه استثمار أيام العمر وساعاته. ومن ذلك ما جاء في وصية رسول الله ﷺ لأبي ذرٍّ الغفاري: «يا أبا ذرّ، كن على عمرك أشحّ منك على درهمك ودينارك»، فإذا كان المرء حريصًا على الحفاظ على مختلف أمواله من التلف والضياع، ويسعى بكلّ السُّبل نحو تنميتها، فإن الحرص ينبغي أن يكون مضاعفًا إزاء أيام عمره وساعات حياته.

وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال «إنّما أنت عدد أيام، فكلّ يوم يمضي عليك يمضي بعضك»[1]، إنّ الإنسان كتلة من الزمن في هذه الحياة، وكلّما ذهب جزء من ذلك الزمن ذهب معه قسط من حياته، كما روي عنه عليه السلام قوله: «ما أنقصت ساعة من دهرك إلّا بقطعة من عمرك»[2]، وهذه كلمات رائعة ينبغي أن تلفت النظر إلى حقائق يغفل عنها الإنسان، مع كونها حقائق يعيشها عمليًّا.

فائض الوقت في العطل

ضمن هذا السياق يمكن الحديث عن العطل الصيفية، واستثمار فائض الوقت فيها، فيما يعود بالنفع على الجميع. فالعطلات على نحو عام ومنها العطل الصيفية جاءت انعكاسًا لتطور قوانين العمل في العصور الحديثة، وقد بات للموظفين والطلاب بموجب ذلك حق التمتع بإجازات سنوية وعطل صيفية. من هنا يأتي السؤال عن الكيفية

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٥٠، حكمة٣.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٨١، حكمة١١٨.

التي ينبغي أن يتعامل بها الناس مع هذه الإجازات والعطل، وما إذا كان يصلح التعامل معها باعتبارها إضافة غير محسوبة من العمر!؟ إذ إنّ هذا ما يبدو عليه تعامل بعض الناس مع إجازاتهم وعطلهم!، وتبعًا لذلك لا يبدون حريصين ولا مهتمين باستثمار هذا الوقت من حياتهم، وهذا خطأ كبير يقع فيه هذا الصنف من الناس. إنّ كلّ لحظة وساعة ويوم من عمر الإنسان هو قطعة من حياته، وإنّ عليه أن يستفيد منها ويستثمرها فيما ينفعه دنيا وآخرة.

ويهمّنا في هذه المساحة أن نتناول البرامج المخصصة لأبنائنا وبناتنا الطلاب خلال العطلة الصيفية، في بعدين أساسيين، يتعلق أحدهما بضرورة استثمار هذا الوقت، واستثمار طاقات أبنائنا خلاله، بحيث نحول العطلة الصيفية إلى فرصة للنمو والاستفادة النوعية، وجعلها قفزة تحقق المزيد من التقدم في حياة أبنائنا وبناتنا، عوضًا عن اعتبارها وقتًا ميّتًا، يجري قتله وإمضاؤه على أيٍّ نحو كان. ومع التقدم الكبير الذي شهدته البشرية في العصر الراهن، فقد بات من الممكن الاستفادة على نحو أفضل من العطل الصيفية، خاصة في ظلّ وجود البرامج والوسائل والتسهيلات المتاحة في هذا السبيل.

العطل ومزالق الانحراف

أما البعد الآخر والأخطر فهو حماية الأبناء والبنات من الانزلاق خلال العطلة الصيفية إلى طريق الفساد والانحراف. ذلك أنه وبحسب الدراسات الاجتماعية الميدانية، ترتفع معدلات السلوكيات الطائشة

والمنحرفة، في أوساط الشباب، خلال العطل الصيفية، والعامل الجوهري الذي يقف خلف ذلك هو زيادة أوقات الفراغ عند الشباب، التي لا يجري التعامل معها على نحو سليم. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «من الفراغ تكون الصبوة»[1]، والمقصود بالصبوة هنا، هي الأعمال والممارسات الصبيانية الطائشة والمنحرفة، خاصة في ظلّ وجود من يستثمر هذا الفراغ عند الشباب لجرّهم نحو الانحرافات، وعلى رأس هؤلاء المستفيدين مافيا المخدّرات، والعصابات، والتجمعات الفاسدة، فالعطلة الصيفية عند هذه الفئات المنحرفة فرصة ثمينة لاصطياد الشباب والفتيات، وايقاعهم في بؤر الفساد والانحراف.

البرامج الجاذبة الهادفة

وهنا يأتي الدور الحيوي للعائلات والمؤسسات الاجتماعية، والواعين في المجتمع، إزاء الاستفادة من العطلة الصيفية، في كسب الشباب نحو الاهتمامات المفيدة لهم ولمجتمعاتهم وأوطانهم. إنّ على كلّ عائلة أن تهتم بالتخطيط لاستثمار العطل في تنمية الأبناء، ومع بقاء الترفيه عنصرًا أساسيًّا، لكنه ليس كلّ شيء، فهناك برامج معروفة على مستوى العالم، وعلى مستوى المنطقة، ومن ذلك الرحلات المعرفية الصيفية، التي تتضمن إلى جانب الترفيه برامج معرفية وعلمية مفيدة، تطور من قدرات الأبناء والبنات، وتصقل مهاراتهم، وتطلعهم على آفاق جديدة مفيدة. وفضلًا عن ذلك، ينبغي على الصعيد المحلّي أن يجري تصميم البرامج المتنوعة التي تستوعب جلّ الأبناء والبنات خلال العطلة الصيفية.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٧٥، حكمة١٥١.

ليس من الصّواب الاقتصار على نمطٍ واحد من البرامج الصيفية. فليس كلّ الأبناء متحمسين لدخول الدورات الدينية والثقافية، هناك من لديه ميول ومهارات فنية، وآخر تستهويه المجالات الرياضية، وثالث اهتماماته بيئية، وتبعًا لذلك ينبغي أن تخطط العوائل وأن تنشط المؤسسات الاجتماعية في هذا السبيل، وبإمكانها التخطيط لبرامج صيفية كثيرة، يتم من خلالها استقطاب القدرات والطاقات القادرة على إجراء الدراسات والأبحاث المفيدة، من الطلاب، والأساتذة الجامعيين، وأصحاب المهارات المختلفة، ولتصنع منهم فرقًا ناشطة في مجال البحث والدراسات الميدانية، حتى لو كان ذلك مقابل مكافآت ومحفزات مختلفة، وهناك كثيرون ممن هم مستعدون لخدمة مجتمعهم متى ما رأوا في ذلك العمل والخدمة تطويرًا لكفاءتهم وقدراتهم. وعلى ذات المنوال ينبغي أن تجتهد الأندية الرياضية، والمساجد واللجان القرآنية، ومختلف المؤسسات الأهلية.

ونلفت النظر أخيرًا إلى الاهتمام بوضع الفتيات، ذلك أنّ البرامج الصيفية المخصصة للأولاد تُعَدّ أكثر نشاطًا في مجتمعنا، بخلاف البرامج المخصصة للفتيات، وربما يعود ذلك لمحدودية القدرة على الحركة بالنسبة للنساء إجمالًا، وهذا للأسف مدخل واسع لهدر الإمكانات والطاقات المجتمعية، فالمرأة كما الرجل تمامًا، طاقة كبيرة يمكن الاستفادة منها في مختلف المجالات التنموية والمعرفية والاجتماعية المختلفة، ومن واجبنا جميعًا أن نوفّر لفتياتنا أجواء الخير والصلاح، حتى لا تستغلّ من قبل التوجّهات الفاسدة والمنحرفة.

كما ينبغي أن نوجه المزيد من الدعم المالي في خدمة الأنشطة الصيفية المخصصة لتنمية وتطوير أبنائنا وبناتنا، وذلك بالحماس نفسه الذي نوليه لدعم إحياء المناسبات الدينية.

تربية الأبناء...
استثمار أفضل

هل صلاح الأبناء مرتبط بعوامل غيبية لا دخل ولا تأثير للوالدين فيها، وغاية ما يمكنهما فعله هو الدعاء والطلب من اللّه سبحانه؟

أم أنه أمر عفوي اتفاقي، وضربة حظ، وليس على الوالدين إلا الانتظار لاستكشاف حظهما ونصيبهما من مستقبل الأبناء؟

إنه لا يشك ذو عقل أن لمستوى التربية والرعاية دورًا أساسًا في صنع مستقبل الأبناء، وبناء شخصياتهم، وتوجيه سلوكهم، فنفوس الأبناء حين يأتون إلى الحياة أشبه بالمادة الأولية القابلة للتشكيل والتصنيع، وقلوبهم كالأرض الخالية الخصبة التي تنمو فيها أي بذرة تغرس في ترابها.

فالطفل موجود مهيأ للتلقي، مزود بقدرات الاستقبال، يتكيّف وفق البيئة التي تحتضنه، والتنشئة التي يمر بها.

هنا يأتي دور الوالدين في تشكيل شخصية الأبناء، وصنع ملامح مستقبلهم.

أطياف للنشر والتوزيع

هاتف / فاكس : ٨٥٤٩٥٤٥ (١٣) ٩٦٦ +
القطيف - شارع القدس
ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E-mail: Atyaf.qatif@gmail.com